نقد نسبة كتاب الحيدة والاعتذار

لعبد العزيز بن يحيى الكناني

بقلم

أحمد فوزي وجيه

تنويه:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

في أدب المناظرات بين المذاهب الاسلامية اشتهرت مناظرة لأبي الحسن عبد العزيز بن يحيى الكناني المكي سُجِّلَت في الكتاب المنسوب إليه بعنوان (كتاب الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن) وهو كتاب مشهور ذَكَرَه جماعة من أهل العلم

وقد كتبت بحثاً في بيان أن كتاب الحيدة المطبوع لا تصح نسبته لعبد العزيز الكناني وأنه موضوع عليه وذلك ضمن كتابي (مسألة القول بخلق القرآن) وهو كتاب ضخم فيه الكثير من الأبحاث العقدية والحديثية وقد أفردت فيه فصلين لبحثين مستقلين الأول منهما في نقد كتاب الرد على الجهمية والزنادقة المنسوب لأحمد بن حنبل والثاني في نقد كتاب الحيدة والاعتذار المنسوب لعبد العزيز الكناني وهما من الكتب التي زورت نسبتها إلى مؤلفيها ولا تصح عنهم

ثم رأيت أن أفرد بحث كتاب الحيدة في مصنف مستقل كي أستطيع التوسع في الكلام على نسبة الكتاب وحتى لا يطول كتاب مسألة القول بخلق القرآن أكثر من اللازم وبالله التوفيق.

ترجمة عبد العزيز بن يحيى الكناني

عبد العزيز الكناني المنسوب إليه كتاب الحيدة والاعتذار فقيه متكلم من أصحاب الشافعي

قال ابن النديم: عبد العزيز بن يحيى المكي في طبقة الحارث (يعني المحاسبي) وهو عبد العزيز بن يحيى بن عبد الملك بن مسلم بن ميمون الكناني وكان متكلما مقدما وزاهدا عابدا وله في الكلام والزهد كتب وتوفي وله من الكتب كتاب الحيدة فيما جرى بينه وبين بشر المريسي.
الفهرست ط. دار المعرفة ص230

وقال الخطيب البغدادي: عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم بن ميمون الكناني المكي سمع عبد الله بن معاذ الصنعاني وسليم بن مسلمة المكي وهشام بن سليمان المخزومي ومروان بن معاوية وسفيان بن عيينة ومحمد بن إدريس الشافعي وقدم بغداد في أيام المأمون وجرى بينه وبين بشر المريسي مناظرة في القرآن وهو صاحب كتاب الحيدة وكان من أهل الفضل والعلم وله مصنفات عدة وكان ممن تفقه بالشافعي واشتهر بصحبته
أَخْبَرَنِي محمد بن أحمد بن يعقوب قال: أَخْبَرَنَا محمد نعيم الضبي قال: أَخْبَرَنَا أبو الحسن محمد بن [حيكان] البزاز قال: حَدَّثَنَا الحسين بن الفضل قال: حَدَّثَنَا عبد العزيز بن يحيى المكي قال: حَدَّثَنَا سفيان بن عيينة عن إدريس بن يزيد عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري أما بعد: فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة وذكر الحديث
أَخْبَرَنا الأزهري قال: حَدَّثَنَا علي بن عمر الحافظ قال: حَدَّثَنِي أبو العباس المطلبي عبيد الله بن محمد بن أحمد الشافعي بالرملة قال: حَدَّثَنِي عبد الله بن محمد بن جعفر القاضي قال: حَدَّثَنَا أبو علي

السمرقندي وهو الحسين بن شاكر وراق داود قال: سمعت داود بن علي يقول: عبد العزيز المكي ممن له فهم بمعاني القرآن وكان أحد أصحاب الشافعي ومن أخذ عنه وقال علي بن عمر: قرأت في كتاب داود بن علي الأصبهاني الذي صنفه في فضائل الشافعي وذكر فيه أصحابه الذين أخذوا عنه فقال: وقد كان أحد أتباعه والمقتبسين عنه والمعترفين بفضله عبد العزيز بن يحيى الكناني المكي كان قد طالت صحبته للشافعي واتباعه له وخرج معه إلى اليمن

وآثار الشافعي في كتب عبد العزيز المكي بينة عند ذكر الخصوص والعموم والبيان كل ذلك مأخوذ من كتاب المطلبي رحمه الله
أَخْبَرَنَا الجوهري قال: أَخْبَرَنَا محمد بن عمران بن موسى قال: حَدَّثَنَا أحمد بن عيسى المكي قال: حَدَّثَنَا محمد بن القاسم بن خلاد قال: لما دخل عبد العزيز بن يحيى المكي على المأمون وكانت خلقته شنعة جدا فضحك المعتصم فأقبل عبد العزيز على المأمون فقال: يا أمير المؤمنين لم ضحك هذا؟ لم يصطف الله يوسف لجماله وإنما اصطفاه لدينه وبيانه وقد قص ذلك في كتابه بقوله تعالى {فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ} لم يقل لما رأى جماله فبياني يا أمير المؤمنين أحسن من وجه هذا فضحك المأمون وأعجبه قوله وقال للمعتصم: إن وجهي لا يكلمك وإنما يكلمك لساني.
تاريخ بغداد ت. بشار 212/12

وقال في ترجمة أحمد بن أبي دؤاد: أَخْبَرَنِي مُحَمَّد بْن أَحْمَدَ بْن يَعْقُوب قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بْن نعيم الضبي قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْحُسَيْن بْن أَبِي الْقَاسِم يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا الْحُسَيْن بْن الْفَضْل يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْد العزيز بْن يَحْيَى المكي يَقُولُ: دخلت على أَحْمَد بْن أَبِي دؤاد وهو مفلوج فقلت: إني لم آتك عائدا ولكن جئت لأحمد اللَّه على أنه سجنك فِي جلدك.
تاريخ بغداد 233/5

وقال أبو إسحاق الشيرازي: عبد العزيز بن يحيى الكناني المكي المتكلم وهو الذي ناظر بشراً المريسي عند المأمون في نفي خلق القرآن قال داود بن علي: هو أحد أصحاب الشافعي أخذ عنه وطالت صحبته واتباعه له وخرج معه إلى اليمن.
طبقات الفقهاء ص103

وقال السمعاني: الغُولى بضم الغين المعجمة هو عبد العزيز بن يحيى المكيّ المعروف بالغولى وكان يشبه بالغول لقبح وجهه إلا أنه كان حسن المذهب والسيرة وكان يناظر بشر بن غياث المريسي في مسألة القرآن ويثبت الصفات أدركه أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم وأبو محمد عبد الله بن محمد بن يعقوب الحارثي وإياد بن الأستاذ هكذا ذكره الحافظ أبو كامل البصيري في كتاب المضافات.
الأنساب 95/10

وأبو كامل البصيري من شيوخ السمعاني ترجم له قال: أحمد بن محمد بن على بن محمد بن بصير بن أحمد بن الحسين الأنبردواني المعروف بالبصيرى وسنذكره في ترجمة البصيري وأبو كامل حفدة أبى الحسن البوزجاني كان قد سمع الحديث الكثير واشتغل به ولم يرحل وجمع كتابا سماه المضاهاة والمضافاة في الأسماء والأنساب ونقل فيه تصحيفا كثيرا من كتاب الدارقطنى وعبد الغنى رأيت ذلك الكتاب ببخارا وأصلحت فيه مواضع على الحاشية ظنا منى أنه يقبل الإصلاح فلما كثر تركت الإصلاح وكان شديد التعصب في مذهبه متحاملا على أصحاب الشافعيّ رحمهم الله سمع أبا بكر محمد بن إدريس الجرجرائى وأبا الحسين أحمد بن محمد بن القاسم الفارسي وأبا طاهر محمد بن يعقوب الديمسى وغيرهم روى عنه نفر يسير قرأت بخط أبى محمد عبد العزيز ابن محمد بن محمد النخشبى الحافظ الرحال المتقن قال: أبو كامل الأنبردواني حفدة أبى الحسن البوزجاني رحل إلى سمرقند إلى أبى الفضل الكاغذي فلما علم أنه صاحب رأى امتنع عليه في الحديث بعد ما

سمع منه شيئا مات في الوباء في أول سنة تسع وأربعين وأربعمائة لم يكن متقنا ولا ثقة.
انظر الأنساب 356/1

وقال ابن الجوزي: عبد العزيز بْن يحيى بْن عبد العزيز بْن مسلم بْن ميمون الكناني المكي سمع سفيان بْن عيينة والشافعي وصحبه طويلا وتفقه له وخرج معه إلى اليمن وقدم بغداد في أيام المأمون وجرى بينه وبين بشر المريسي مناظرات فِي القرآن وَهُوَ صاحب كتاب الحيدة وَكَانَ من أهل الفضل والعلم وله مصنفات عدة.
المنتظم ت. عطا 67/11

وقال في حوادث سنة 420هـ زمن الخليفة القادر بالله: وفي يوم الاثنين غرة ذي القعدة جمع القضاة والشهود والفقهاء والوعاظ والزهاد إلى دار الخلافة وقرئ عليهم كتاب طويل جدا يتضمن ذكر أبي بكر وعمر وفضائلهما ووفاة النبي صلى الله عليه وسلم والطعن على من يقول بخلق القرآن وأعيد فيه ما جرى بين بشر المريسي وعبد العزيز المكي في ذاك ويخرج من هذا إلى الوعظ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأقام الناس إلى بعد العتمة حتى استوفيت قراءته ثم أخذت خطوطهم في آخره بحضورهم وسماع ما سمعوه.
المنتظم 197/15-198

وقال المزي: تمييز: عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم بن ميمون الكناني المكي صاحب كتاب الحيدة وكان يلقب الغول لدمامة منظره .. وساق ترجمته من كتاب الخطيب البغدادي
تهذيب الكمال 220/18
وقول المزي (تمييز) إذا كان المترجم ليست له رواية في الكتب الستة

وقال الذهبي: .. وهو قليل الحديث قال الخطيب: قَدِمَ بغداد زمن المأمون وجرى بينه وبين بشر المريسي مناظرة فِي القرآن وكان من أهل العلم والفضل وله مصنفات عدّة وكان مِمّن تفقّه بالشافعي واشتهر بصحبته
وقال داود بن علي الظاهري: كَانَ عَبْد العزيز بْن يَحْيَى الْمَكِّيّ أحد أتباع الشافعيّ والمقتبسين عَنْهُ وقد طالت صحبته له وخرج معه إلى اليمن
وآثار الشافعي في كتب عبد العزيز المكي ظاهرة
ونقل الخطيب في تاريخه أن عبد العزيز بْن يحيى المكيّ قال: دخلتُ عَلَى أَحْمَد بْن أَبِي دُؤاد وهو مفلوج فقلتُ: إنِّي لَم آتك عائدًا ولكن جئتُ لأحمد الله على أنه سجنك في جلدك
قلت (الذهبي): فهذا يدل على أن عبد العزيز كان حيا في حدود الأربعين والله أعلم
قال المرزباني: حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى قال: حدثنا أبو العيناء قال: لما دخل عبد العزيز المكي على المأمون وكان شنع الخلقة جدًّا ضحك أَبُو إِسْحَاق المعتصم فقال: يا أمير المؤمنين لم ضحك هذا؟ لم يصطف الله يوسف لجماله وإنّما اصطفاهُ لدينه وبيانه فضحِكَ المأمون وأعجبه
قلت (الذهبي): لم يصح إسناد كتاب الحيدة عن عبد العزيز.
تاريخ الاسلام ت. بشار 874/5

وقد أرخ الذهبي وفاته في حدود سنة 240هـ وذكر ابن النديم أنه في طبقة الحارث المحاسبي والحارث توفي 243هـ وهذا يؤيد تأريخ الذهبي لوفاته سنة 240هـ تقريباً

وفي أخبار فخ لابن سهل الرازي قال: أخبرني هارون بن موسى قال: حدثني عبد العزيز بن يحيى الكناني قال: لما انصرف يحيى وإدريس من أرض الحبشة كاتب النّاس وواعدهم الموسم بمنى في شعب الحضارمة قال: فوافاه سبعون رجلا من خيار أهل الأرض

في ذلك الزمان قال: وكان فيهم جماعة من أهل مكّة قال هارون: وكأنّه أومى إلى أن يكون كان فيهم ولم يصرّح بذلك.
أخبار فخ ص163

فإن صح أن الكناني حضر موقع فخ سنة 169هـ فهذا يعني أنه عند وفاته قد بلغ التسعين من عمره تقريباً
أما قول أبي كامل البصيري أن أبا العباس الأصم والحارثي أدركاه ففيه نظر لأن الأصم توفي سنة 346هـ وولد سنة 247هـ كما أخبر هو عن نفسه وكذا عبد الله بن محمد بن يعقوب الحارثي ولد سنة 258هـ فمتى أدركاه أو سمعا منه ؟!

وقول الذهبي (هو قليل الحديث) هو كما قال ولم أقف له على رواية في كتب الحديث المعروفة ولم أجد له ترجمة في كتب الرجال المتقدمة كالجرح والتعديل لابن أبي حاتم والثقات لابن حبان والضعفاء للعقيلي وابن عدي وغيرهم من كتب الرجال المعاصرة لزمنه وإنما وقفت له على الرواية التي ذكرها الخطيب في ترجمته وأخرى رواها عنه أحمد ابن أبي طاهر في كتاب بغداد والظاهر أن الرجل كان مشتغلاً بالفقه والكلام والوعظ ولم تكن له كبير عناية برواية الحديث وأكثر ما تجد ترجمته في كتب طبقات الشافعية وذكر د. ماهر جرار في مقدمة كتاب أخبار فخ ص105 أن الكناني قد صاحب أيضاً الفقيه محمد بن الحسن الشيباني والله أعلم

وقد ذكرت الزيدية عبد العزيز الكناني من رجالهم ومن الدعاة إلى بيعة يحيى بن عبد الله بن حسن الهاشمي إمام الزيدية
قال أحمد بن سهل الرازي: وحدثني هارون الوشاء قال حدثني عبد العزيز بن يحيى الكناني ويقال إنّه كان من الدّعاة إلى يحيى بن عبد الله لمّا صار الحسين إلى فخّ خرج يحيى على فرسه يحرّض النّاس قال بعد حمد الله: أبشروا معشر من حضر من المسلمين فإنّكم أنصار الله وأنصار كتابه وأنصار رسوله صلى الله عليه

وسلّم وأعوان الحقّ وخيار أهل الأرض وعلى ملّة الإسلام ومنهاجه الذي اختاره لأنبيائه المرسلين وأوليائه الصّابرين ..الخ
وهو خطاب طويل في تحفيز أتباعه على قتال جيش العباسيين في معركة فخ زمن الخليفة موسى الهادي
انظر أخبار فخ لأحمد بن سهل الرازي ص150

ونقل أحمد بن سهل الرازي عن هارون الوشّاء قال: حدّثني عبد العزيز بن يحيى الكنانيّ قال: جمع هارون الفقهاء فكان فيمن أحضر محمد بن الحسن والحسن بن زياد قال وكنت فيمن حضر وأحضر من القرشيين جماعة من ولد أبي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزّبير وأبو البختري وأحضر أمان يحيى فدفع هارون الأمان إلى محمد بن الحسن ويحيى في الحديد فقال: يا محمد انظر في هذا الأمان هل هو صحيح أم هل في نقضه حيلة؟ فقرأه ثم قام قائما وقال: يا أمير المؤمنين أمان صحيح ما رأيت أمانا قطّ أصحّ منه ولا ظننت أنه ما بقي في الدنيا رجل يحسن أن يكتب مثل هذا ولو كلّفت أن أكتب مثله ما أحسنت قال: فغضب الرّشيد حتى انتفخت أوداجه وانقطعت أزراره وأخذ دواة بين يديه فضرب بها رأس محمد فشجّه ..الخ
أخبار فخ ص262

وهذا إن صح ففيه أن الكناني كان معروفاً بالفقه عند الخلفاء من أيام هارون الرشيد وقد روى عنه ابن سهل الرازي في كتاب أخبار فخ جملة من أخبار يحيى بن عبد الله إمام الزيدية من طريق هارون بن موسى الوشاء ولم أقف على ترجمة الوشاء في كتب تراجم أهل السنة والظاهر أنه من دعاة الزيدية ورواة أخبارهم

الكلام على كتاب الحيدة والاعتذار

كتاب الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن ذكره جماعة من أهل العلم كابن النديم البغدادي المتوفي سنة 438هـ

والخطيب البغدادي المتوفي سنة 463هـ وأبي اسحاق الشيرازي المتوفي سنة 476هـ وهو ممن دخل بغداد واستفاد من أهلها وابن بطال القرطبي الأندلسي المتوفي سنة 449هـ وغيرهم
وبحسب هؤلاء البغاددة وبحسب الاسناد الوارد في مقدمة الكتاب فالكتاب موطنه في بغداد وكان موجوداً في القرن الرابع الهجري ثم انتقل إلى الأندلس واشتهر هناك كما سيأتي بيانه
وروى ابن بطة العكبري المتوفي سنة 387هـ في كتاب الابانة الكبرى المناظرة باختصار باسناد آخر واهي وسيأتي الكلام عليها

وأول من تكلم صراحة في نقد الكتاب واستنكار نسبته للمؤلف هو الامام الذهبي رحمه الله قال: لم يصح إسناد كتاب الحيدة إليه فكأنه وضع عليه والله أعلم.
ميزان الاعتدال 639/2 و517/3 وتاريخ الاسلام 874/5 والمغني في الضعفاء 5415

وإنما قلت (صراحة) لأن ابن الفرضي ذكر في ترجمة راوي الكتاب أحمد بن خالد الجذامي أنه أدخل في الأندلس (كتباً غريبة تفرد برواياتها) وهذا استنكار منه لتلك الغرائب التي جاء بها ومنها كتاب الحيدة

وقالوا في تحرير تقريب التهذيب 4132: لا تصح نسبة كتاب الحيدة إليه فقد قال الذهبي في ترجمته من الميزان 2/ 639: ولم يصح إسناد كتاب الحيدة إليه فكأنه وُضع عليه ثم قال في ترجمة محمد بن الحسن بن أزهر الدعاء: اتهمه الخطيب بأنه يضع الحديث وهو الذي انفرد برواية كتاب الحيدة ويغلب على ظني أنه هو الذي وضع كتاب الحيدة فإني لأستبعد وقوعها جدًّا وقال السبكي في طبقاته 2/ 145: وكتاب الحيدة المنسوب إلى عبد العزيز الكناني فيه أمور مستشنعة لكن كما قال شيخنا الذهبي لم يصح إسناده إليه ولا ثبت أنه من كلامه فلعله وضع عليه.

قلت: اسناد الكتاب كما جاء في مقدمته بحسب النسخة التي اعتمد عليها د. علي بن ناصر الفقيهي قال: قرأت على أبي عمر أحمد بن خالد في ربيع الآخر عام اثنين وخمسين وثلاثمائة حدثنا أبو عمرو عثمان بن أحمد بن عبد الله بن السماك قال ثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن أزهر بن حسين القطايعي قال: حدثني أبو عبد الله العباس ابن محمد بن فرقد قال: حدثني أبي محمد بن فرقد بهذا الكتاب من أوله إلى آخره قال: قال عبد العزيز بن مسلم الكناني: اتصل بي وأنا بمكة ما قد أظهره بشر بن غياث المريسي ببغداد من القول بخلق القرآن .. فذكره

وأبو عمر أحمد بن خالد هو الجذامي القرطبي
قال ابن الفرضي: أحمد بن خالد بن عبد الله بن قِيبَل بن يَبْقى الجُذَاميّ التَّاجر من أهل قُرطبةَ يُكَنَّى أبا عمرَ رحَل إلى المشْرق ودخَل العِراق تاجراً فَسَمِع بها من أبي عَمْرٍو عُثْمان بن أحمد بن عَبْد الله الدقَّاق المعروف بابن السمَّاك ومن أبي عليِّ الحُسَين بن صَفوان بن إسحاق البرذعيّ ومن أبي عليّ إسماعيل بن محمج بن إسماعيل الصفَّار ومن أبي جَعْفَر مُحمد بن عمرٍو بن البُخْتري الرزَّاز وسَمِع بمكة من ابن الاعْرابيّ وسَمع بمصرَ من أبي قُتَيبة سلَم بن الفَضْل ابن سَهْل البَغْداذي وغَيرهم من المصريِّين

وأَدخَل الأندُلس كُتُباً غَريبة تَفَرَّد بِروايتها فَسَمعها النَّاس مِنْهُ قَديماً وحَديثاً ولَمْ يَكُن لَه فَهْمٌ ولا كان يُقيم الهجاء إذا كَتَبَ غَيْر أنَّه كان رَجُلاً صالحاً صَدُوقاً إن شاء الله وكانت رحْلته وسَماعه قَديماً سَمِعتُ منه أكثر ما كان يَرْويه وأجازَ لي جميع روايته وكُتُبه وتُوفِّيَ رحمه الله لَيلة السَّبت لِثلاثٍ بقين مِن ذي القَعدة ستة ثمانٍ وسبعين وثلاثِ مائةٍ ودفن يوم السَّبت صلاة العصر في مَقْبُرة بلاط

مغيث وصلى عليه القاضي محمد بن يَبْقَى بن زَرْب وكان مَولده قبل الثَّلاثَ مائةٍ.

تاريخ علماء الأندلس ط. الخانجي 186

فالجذامي المتوفي سنة 378هـ أخذ كتاب الحيدة من بغداد وحدث به في الأندلس واشتهر الكتاب عند أهل الأندلس ونقل منه ابن بطال في كتابه شرح صحيح البخاري
وقد استنكر ابن الفرضي على شيخه الجذامي ادخال كتباً غريبة تفرد بروايتها ومن هذه الغرائب كتاب الحيدة موضوع البحث

وشيخ الجذامي في اسناد الكتاب هو عثمان بن أحمد أبو عمرو الدقاق البغدادي المعروف بابن السماك المتوفي سنة 344هـ
وثقه الدارقطني وابن الفضل القطان والخطيب البغدادي وغيرهم
وقال الذهبي: صدوق في نفسه لكن روايته لتلك البلايا عن الطيور كوصية أبي هريرة فالآفة من فوق أما هو فوثقه الدارقطني
قال ابن السماك: وجدت في كتاب أحمد بن محمد الصوفي حدثنا إبراهيم بن حسين عن أبيه عن جده عن علي مرفوعاً: من أسمج الكذب من أدرك منكم زمانا يطلب فيه الحاكة العلم فالهرب قيل أليسوا من إخواننا؟ قال: هم الذين بالوا في الكعبة وسرقوا غزل مريم وعمامة يحيى وسمكة عائشة من التنور.
وهذا الإسناد ظلمات وينبغي أن يغمز ابن السماك لروايته هذه الفضائح.
ميزان الاعتدال 31/3

قلت: ابن السماك محدث مشهور ثقة عند معاصريه لكنه كان يروي مناكير وبلايا عن غير الثقات فالآفة ممن يروي عنهم وقد روى هذا الكتاب عن محمد بن الحسن بن أزهر البغدادي المتهم بالكذب

قال الخطيب البغدادي: محمد بن الحسن بن أزهر بن جبير بن جعفر أبو بكر القطائعي الدعاء الأصم حدث عن قعنب بن المحرر الباهلي والعباس بن يزيد البحراني وعمر بن شبة النميري ومحمد بن عبد الملك بن زنجويه وأحمد بن منصور الرمادي وحميد بن الربيع وعباس بن محمد الدوري
روى عنه أبو عمرو بن السماك كتاب الحيدة ومحمد بن عبد الله بن بخيت الدقاق وعبيد الله بن أبي سمرة البغوي وأبو حفص بن شاهين ومحمد بن جعفر النجار ومحمد بن إسحاق القطيعي وعمر بن إبراهيم الكتاني
وكان غير ثقة يروي الموضوعات عن الثقات .. ثم روى له حديثين منكرين وقال: رِجَالُ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ كُلُّهُمْ ثِقَاتٌ غَيْرَ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ وَنَرَى الْحَدِيثَيْنِ مِمَّا صَنَعَتْ يَدَاهُ وذكر أبو القاسم ابن الثلاج فيما قرأت بخطه أنه توفي في أول سنة عشرين وثلاث مائة.
تاريخ بغداد 592/2 والأنساب للسمعاني 453/10

فمحمد بن الحسن بن أزهر المتوفي سنة 320هـ هو راو كذاب يضع الحديث ويفتعله وقد اتهمه الذهبي بوضع كتاب الحيدة

والعجب من الخطيب البغدادي يعرف أنه راوي الكتاب ويتهمه بالكذب ثم ينسب الكتاب لعبد العزيز الكناني ولا يتعقبه بشيء !

وقد رواه عنه أبو عمرو الدقاق المحدث المشهور ولم يتفرد بروايته فقد جاء اسناد الكتاب في نسخ خطية أخرى من طريق عبيد الله بن عبد الله بن أبي سمرة البغوي وهذه طريق مشهورة للكتاب في مكة وبغداد ووصلت إلينا في أكثر من نسخة خطية وعليها اعتمد د. جميل صليبا في تحقيقه
وجاء الكتاب باسناد آخر في نسخة مكتبة أسعد أفندي من طريق عمر بن إبراهيم بن أحمد الكتاني المقرئ
فالدقاق والبغوي والكتاني ثلاثتهم رووا الكتاب عن محمد بن أزهر

فهذا الكتاب من رواية محمد بن الحسن بن أزهر وهو راو كذاب يضع الحديث ولا تصح روايته

والكتاب جاء على أجزاء فالجزء الأول فيه المناظرة الأولى
والجزء الثاني فيه عودة من عبد العزيز الكناني باستدعاء من المأمون ليستمر الكاتب في سرد بقية المناظرة
مع التنبيه على أن نسخ كتاب الحيدة الموجودة في المكتبات فيها زيادات واختلافات بين النسخ وتحريره يحتاج إلى بحث مستقل ..

وطبعة الدكتور الفقيهي ناقصة وهي الطبعة الموجودة في المكتبة الشاملة وقد اقتصر على الجزء الأول من المناظرة لأنه اعتمد على بعض النسخ الخطية التي اقتصرت على الجزء الأول مع أن ط.
صليبا متقدمة عنه وفيها المناظرة بكمالها وقد اطلع عليها كما ذكر في المقدمة !
وهذا من الأسباب التي دفعت أ/ نضال البرازي أن يعيد طباعة الكتاب مرة أخرى بضم الجزء الثاني إلى متن المناظرة وهي أحدث طبعة وقفت عليها طبعة دار الامام مسلم الطبعة الرابعة لعام 2023م وهي أجود الطبعات من حيث ضبط المتن
وقد تحاشى أ/ نضال البرازي البحث في مسألة اثبات صحة الكتاب والرد على من طعن فيه واكتفى بنقل أقوال العلماء الذين نسبوا الكتاب إلى عبد العزيز الكناني ولعله اقتصر على دفاع د. الفقيهي مع أن البرازي أخطأ في النقل عن بعض أهل العلم كما سيأتي بيانه في رواية ابن أبي طاهر

وقد دافع محقق الكتاب د. علي بن ناصر الفقيهي عن صحة الكتاب وثبوته بأن ابن أزهر لم يتفرد به وأن ابن بطة ذكر للقصة اسناداً آخر !
قال ابن بطة: حَدَّثَنَا أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ رَجَاءٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أَيُّوبَ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَمْرٍو النَّزَلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الْقَاسِمِ الْعَطَّافُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ: حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ بِشْرٍ وَدُبَيْسٌ الصَّائِغُ

وَمُحَمَّدُ بْنُ فَرْقَدٍ قَالُوا: قَالَ لَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يَحْيَى الْمَكِّيُّ الْكِنَانِيُّ: أَرْسَلَ لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمَأْمُونُ فَأَحْضَرَنِي وَأَحْضَرَ بِشْرَ بْنَ غِيَاثٍ الْمِرِّيسِيَّ .. الحديث.
الابانة الكبرى ط. الراية 226/6

وهذا اسناد ضعيف جداً أشبه بالموضوع فعبد الوهاب النزلي مجهول الحال ذكره ابن النجار في الذيل على تاريخ بغداد ولم يذكر لأهل العلم فيه كلاماً وشيخه العطاف بن مسلم مجهول لا يُعرف ولا ذكر له في كتب التراجم والتواريخ المعروفة ومثل هذه الجهالة عين الجرح عند أهل الحديث

قال البيهقي في مثله: وَأَمَّا مُحَمَّد بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْفِلَسْطِينِيُّ هَذَا فَلَسْتُ أَعْرِفُهُ وَلَسْتُ أَجِدُ اسْمَهُ فِي التَّوَارِيخِ الَّتِي عِنْدِي وَإِنَّمَا هُوَ شَيْخٌ مَجْهُولٌ وَالْجَهَالَةُ عَيْنُ الْجَرْحِ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ.
حديث أَحْمَد بن عبد الله بن خالد الجويباري ص215

وشيوخ العطاف بن مسلم الذي يروي عنهم المناظرة (الحسين بن بشر ودبيس الصائغ ومحمد بن فرقد) هم كذلك في عداد المجاهيل ولا يُعرفون بتوثيق ولا يُعرفون بصحبة عبد العزيز الكناني ولا الرواية عنه

وزعم بعض الاخوة أن الحسين بن بشر هنا هو الحمصي لا بأس به صاحب الحجاج بن محمد المصيصي وليس بصحيح فذاك شامي متقدم ولا يروي عن الكناني !

فهذا اسناد مظلم لا يصلح في المتابعة ولا يحتج به

ثم إن رواية ابن بطة مختصرة وفيها مخالفات لرواية كتاب الحيدة كما سيأتي بيانه وهذا لم ينتبه إليه المحقق فظن أنها تشهد لصحة الكتاب وإنما هي تُعِلُّهُ وتزيده ضعفاً فإن أمثال هؤلاء الضعفاء

والمجاهيل لا يُعتبر برواياتهم وإن كثرت لاحتمال تواطئهم على الكذب لاسيما مع نكارة الرواية وغرابتها ولو كان لها أصل صحيح لاشتهرت من رواية الثقات !

نقد متن الكتاب وبيان نكارته

قال ابن حجر بعد نقل كلام الذهبي بالطعن في اسناد الكتاب:
ووجه استبعاد المصنف كتاب الحيدة أنه يشتمل على مناظرات أقيمت فيها الحجة لتصحيح مذهب أهل السنة عند المأمون والحجة قول صاحبها فلو كان الأمر كذلك ما كان المأمون يرجع إلى مذهب الجهمية ويحمل الناس عليه ويعاقب على تركه ويهدد بالقتل وغيره كما هو معروف في اخباره في كتب المحنة.
لسان الميزان 5/128-129

وهذا من قرائن نقد المتن التي وافق بها ابن حجر على نقد الذهبي وإن كان الحافظ ابن حجر في مواضع أخرى يذكر كتاب الحيدة ولا يعترض نسبته
(انظر فتح الباري 13/402 وتهذيب التهذيب 6/363 والتقريب 4132)

وقال د. الفقيهي تعقيباً على كلام الذهبي وابن حجر: كون المأمون بقي بعد تلك المناظرة على رأيه لا ينهض دليلا على عدم وقوع المناظرة ولا طعنا في كتاب الحيدة الذي هو حصيلة تلك المناظرة لأن الشبهة التي لبس بها الجهمية على المأمون كانت قوية بحيث أصبحت عند المأمون عقيدة يرى أن مخالفها كافر مرتد يستحق العقوبة بالقتل فكم من مناظرة قد أقيمت بين يديه وكم من عالم حبس وضرب بل وقتل فمن أجل هذه الشبهة القوية لم يستطع المأمون التخلص منها ويدل لذلك أن بشرا وأتباعه لازالوا بعد المناظرة يستغلون الفرص المناسبة للطعن على الكناني عند المأمون وقد ذكر ذلك الكناني نفسه في هذه الرسالة .. الخ

مقدمة كتاب الحيدة ص13

قلت: دفاع د. الفقيهي لا ينهض لنقد كلام الذهبي وابن حجر لأن من يطالع المناظرة سيرى فيها أن عبد العزيز الكناني أفحم المريسي وأقام الحجة عليه مرات متكررة بحضرة المأمون وقد استحسن المأمون كلامه وحجته ولم يعارضه في شيء مما استدل به مما ينسف به عقيدة المعتزلة لو كان حقاً وقد جعل بشر المريسي أمامه مثل الصبي الجاهل الذي لا يدري شيء !
وسيرى القاريء في الكتاب أن المأمون ارتضى كلام عبد العزيز الكناني غير مرة وقال له في آخر المناظرة (أحسنت يا عبد العزيز وما قلت في يومك هذا أحسن ولا أدق من هذا فقال له عبد العزيز: قد أكذبت والله أهل هذه المقالة وكسرت قولهم ودحضت حجتهم وأبطلت مذهبهم بنص التنزيل بلا تأويل ولا تفسير والحمد لله رب العالمين)
فكيف بعد ذلك يمتحن الناس ويرى كفر من يقول بخلق القرآن ويستمر على ذلك حتى وهو في النزع الأخير ؟!
قال المأمون لأخيه المعتصم في وصيته عند موته: يا أبا إسحاق ادن مني واتعظ بما ترى وخذ بسيرة أخيك في القرآن .. الخ
تاريخ الطبري 648/8

وقول الفقيهي (ويدل لذلك أن بشرا وأتباعه لازالوا بعد المناظرة يستغلون الفرص المناسبة للطعن على الكناني عند المأمون وقد ذكر ذلك الكناني نفسه في هذه الرسالة)
هذا استدلال منتقد لأننا لا نسلم له صحة نسبة الكتاب فكيف يستدل على صحته بأقوال من داخله ؟!

وقول الفقيهي (فكم من مناظرة قد أقيمت بين يديه وكم من عالم حبس وضرب بل وقتل)

هذا كلام انشائي لا حجة فيه ومَنْ قتله المأمون بسبب المحنة والقول بخلق القرآن ؟ ولم يُظهر المأمون امتحان الناس إلا في آخر عمره قبل وفاته بأشهر !
وقد ذكر بعض الإخوة في ملتقى أهل الحديث أن المأمون أظهر المحنة وهو في غزو الروم بعيداً عن العراق ولم يرجع إلى العراق لأنه مات في طرسوس والذي حبس الإمام أحمد هو نائبه ابن مصعب فكيف يقول الكناني إنه ناظر المريسي في بغداد بحضور المأمون ؟!

قلت: وهذا دليل يبطل وقوع مثل هذا في بغداد فإن المأمون دعا إلى المحنة سنة 218هـ وهو في الرقة ومات في نفس السنة بطرسوس ودفن هناك ولم يرجع إلى بغداد ومات بعده بشر المريسي في نفس السنة ولم يجتمعا بعد اعلان المحنة فلم يمتحن المأمون الناس وهو ببغداد ولم يناظر بشر المريسي أحداً في حضرة المأمون بعد اعلان المحنة !

قال الطبري في حوادث سنة 218هـ: وفي هذه السنة كتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم في امتحان القضاة والمحدثين وأمر بإشخاص جماعة منهم إليه إلى الرقة .. وقال: وفي هذه السنة توفي المأمون
ذكر الخبر عن سبب المرض الذي كانت فيه وفاته: ذكر عن سعيد العلاف القارئ قَالَ: أرسل إلي المأمون وهو ببلاد الروم وكان دخلها من طرسوس يوم الأربعاء لثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة .. ثم ذكر خبراً طويلاً في مرض موته ووصيته ثم قال: وأما وقت وفاته فإنه اختلف فيه فقال بعضهم توفي يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب بعد العصر سنة ثمان عشرة ومائتين وقال آخرون بل توفي في هذا اليوم مع الظهر ولما توفي حمله ابنه العباس واخوه ابو إسحاق محمد بن الرشيد إلى طرسوس فدفناه في دار كانت لخاقان خادم الرشيد وصلى عليه أخوه أبو إسحاق المعتصم ثم وكلوا به حرسا من أبناء أهل

طرسوس وغيرهم مائة رجل وأجري على كل رجل منهم تسعون درهما.
(انظر تاريخ الطبري 631/8 : 650)

وقال الذهبي: فَظَهَرَ المَأْمُوْنُ الخَلِيْفَةُ وَكَانَ ذَكِيّاً مُتَكَلِّماً لَهُ نَظَرٌ فِي المَعْقُوْلِ فَاسْتجلَبَ كُتبَ الأَوَائِلِ وَعَرَّبَ حِكمَةَ اليُونَانِ وَقَامَ فِي ذَلِكَ وَقَعَدَ وَخَبَّ وَوَضَعَ وَرَفَعَتِ الجَهْمِيَّةُ وَالمُعْتَزِلَةُ رُؤُوْسَهَا بَلْ وَالشِّيْعَةُ فَإِنَّهُ كَانَ كَذَلِكَ وَآلَ بِهِ الحَالُ أَنْ حَمَلَ الأُمَّةَ عَلَى القَوْلِ بِخَلْقِ القُرْآنِ وَامتَحَنَ العُلَمَاءَ فَلَمْ يُمْهَلْ وَهَلَكَ لِعَامِه وَخَلَّى بَعْدَهُ شَرّاً وَبَلاَءً فِي الدِّيْنِ فَإِنَّ الأُمَّةَ مَا زَالتْ عَلَى أَنَّ القُرْآنَ العَظِيْمَ كَلاَمُ اللهِ تَعَالَى وَوَحْيُه وَتَنْزِيْلُه لاَ يَعْرِفُوْنَ غَيْرَ ذَلِكَ حَتَّى نَبَغَ لَهُمُ القَوْلُ بِأَنَّهُ كَلاَمُ اللهِ مَخْلُوْقٌ مَجْعُولٌ وَأَنَّه إِنَّمَا يُضَافُ إِلَى اللهِ تَعَالَى إِضَافَةَ تَشرِيفٍ كَبَيتِ اللهِ وَنَاقَةِ اللهِ فَأَنكرَ ذَلِكَ العُلَمَاءُ وَلَمْ تَكُنِ الجَهْمِيَّةُ يَظهرُوْنَ فِي دَوْلَةِ المَهْدِيِّ وَالرَّشِيْدِ وَالأَمِيْنِ فَلَمَّا وَلِيَ المَأْمُوْنُ كَانَ مِنْهُم وَأَظهرَ المَقَالَةَ.
(سير أعلام النبلاء ط. الرسالة 236/11)

وقال الذهبي في بشر المريسي: وَمَاتَ فِي آخِرِ سَنَةِ ثَمَانِي عَشْرَةَ وَمائَتَيْنِ وَقَدْ قَارَبَ الثَّمَانِيْنَ.
(سير أعلام النبلاء ط. الرسالة 202/10)

فالمأمون امتحن الناس في آخر عمره قبل وفاته بأشهر ولم يكن في بغداد ومات في نفس العام بشر المريسي ولم يلتق بالمأمون بعد اعلانه للمحنة وهذا دليل على تلفيق تلك المناظرة وأنها موضوعة !

وقد ذكروا أن المأمون قال في وصيته: هذا ما أشهد عليه عبد الله بن هارون أمير المؤمنين أنّ الله وحده لَا شريك له في مُلكه وأنّه خالقٌ وما سواه مخلوق ولا يخلو القرآن من أن يكون شيئًا له مثلٌ

والله لَا مثل له .. إلى أن قال: يا أبا إسحاق (المعتصم) ادْنُ منّي واتَّعِظْ بما ترى وخُذ بسيرة أخيك في القرآن .. الخ
(انظر تاريخ الطبري 631/8 : 648)

فالمأمون لم يتراجع عن عقيدته إلى أن مات ووصيته لأخيه دليل على شدة تمسكه بهذه العقيدة وحرصه على حمل الناس عليها بعد موته وهذا مما يبين لك ركاكة المناظرة وركاكة الاستدلال فيها وأن المأمون كلما رأى الكناني يحتج على المريسي يقول له (أحسنت أحسنت حتى قال له في آخر المناظرة: أحسنت يا عبد العزيز وما قلت في يومك هذا أحسن ولا أدق من هذا) فالمأمون كان فقيهاً متكلماً مات على نصرة مذهبه والتعصب له فكيف يستحسن قوله ولا يعارضه في شيء مما يحتج به ؟!

وقد احتج د. الفقيهي على صحة نسبة الكتاب بإقرار العلماء الذين ترجموا للكناني ونسبوا إليه الكتاب ومنهم من اقتبس منه !
وهذا الاقرار والاقتباس لا يكفي في إثبات الصحة إذا كانت هناك أدلة تثبت بطلان النسبة لاسيما إذا كان ذلك الاقرار لم يحصل من معاصريه وإنما من المتأخرين عن زمن المؤلف وأقدم من وقفت عليه نسب الكتاب للكناني في ترجمته هو ابن النديم المتوفي سنة 438هـ وهو من رواية ابن أزهر الكذاب
وروى المناظرة مختصرة ابن بطة العكبري المتوفى 387هـ باسناد تالف
وكم من كتاب ثبتت بطلان نسبته لمؤلفه وهو منسوب له في كتب التراجم وإنما يمكن الاستشهاد بمثل هذا الاقرار إذا لم يكن هناك أدلة ظاهرة تثبت خلافه وقد مر بنا كيف أن الخطيب البغدادي اتهم راوي كتاب الحيدة بالكذب ثم ذكر الكتاب لعبد العزيز الكناني في ترجمته ولم يتعقبه بشيئ !
فأحياناً يذكرون الكتاب في ترجمة الراوي بحسب ما اشتهر من غير تحقيق لصحة النسبة وبكل حال فاتباع الدليل هو الأصل في حكم الباحثين

وقد استشهد د. الفقيهي محقق الكتاب بكلام ابن حجر في الفتح 402/13 في شرح قول البخاري (بَابُ {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ} فَسَمَّى اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ شَيْئًا) قال: وَأَشَارَ بن بَطَّالٍ إِلَى أَنَّ الْبُخَارِيَّ انْتَزَعَ هَذِهِ التَّرْجَمَةَ مِنْ كَلَامِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ يَحْيَى الْمَكِّيِّ فَإِنَّهُ قَالَ فِي كِتَابِ الْحَيْدَةِ سَمَّى اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ شَيْئًا إِثْبَاتًا لِوُجُودِهِ وَنَفْيًا لِلْعَدَمِ عَنْهُ .. الخ

وعبارة ابن حجر فيها تصرف وإنما قال ابن بطال: قال عبد العزيز صاحب كتاب الحيدة: إنما سمى الله نفسه شيئًا إثباتًا للوجود ونفيًا للعدم وكذلك أجرى على كلامه ما أجراه على نفسه فلم يتسم بالشئ ولم يجعل الشىء من أسمائه ولكنه دل على نفسه أنه شىء أكبر الأشياء إثباتًا للوجود ونفيًا للعدم وتكذيبًا للزنادقة والدهرية ومن أنكر ربوبيته من سائر الأمم فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم (قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً قُلِ اللهِ شَهِيدٌ بِيْنِى وَبَيْنَكُمْ) فدل على نفسه أنه شىء لا كالأشياء لعلمه السابق أن جهمًا وبشرًا ومن وافقهما سيلحدون فى أسمائه ويشبهون على خلقه ويدخلونه وكلامه فى الأشياء المخلوقة .. الخ
شرح صحيح البخاري لابن بطال 443/10-444

فابن بطال اقتبس من كتاب الحيدة ولم يقل أن البخاري استفاد أو اقتبس منه وابن بطال توفى سنة 449هـ وكتاب الحيدة كان موجوداً في ذلك الوقت أدخله الرواة إلى الأندلس في القرن الرابع الهجري ولم يقتبس منه البخاري ولا يعرفه ولعل من وضع الكتاب هو الذي اقتبس من البخاري !

فهذا الكتاب قائم على ادعاء مناظرة حصلت بين عبد العزيز الكناني وبشر المريسي في حضرة المأمون من أجل مسألة خلق القرآن بعد اعلان المحنة واضطهاد أهل العلم والتنكيل بهم والتاريخ يثبت أن هذه الوقائع لم تحصل لأن المأمون أمر

بالامتحان وهو في الشام في غزو الروم ولم يرجع بغداد ولم يشهد مناظرات بعد اعلانه للمحنة ولم يمتحن أحداً بنفسه في بغداد فقد أدركه الموت قبل أن يرجع

وقال أ/فهمي جدعان: وفي الكتاب (الحيدة) تهويل ومبالغة في شأن وقائع عصر المحنة بحيث إن المؤلف يتكلم على عمليات قتل سرية لا يعلم بها أحد أو على استتار المسلمين في بيوتهم وانقطاعهم عن الجمعة والجماعات وهربهم من بلد إلى بلد خوفاً على أنفسهم وأديانهم .. الخ
المحنة ص103-104

قلت: يقصد أ/جدعان كلام الكناني المنسوب إليه في مقدمة الكتاب قال: اتصل بي وأنا بمكة ما قد أظهره بشر بن غياث المريسي ببغداد من القول بخلق القرآن ودعائه الناس إلى موافقته على قوله ومذهبه وتشبيهه على أمير المؤمنين المأمون وعامة الناس وما قد دفع الناس إليه من المحنة والأخذ في الدخول في هذا الكفر والضلالة ورهبة الناس وفزعهم من مناظرته وإحجامهم عن الرد عليه بما يكسرون به قوله ويدحضون به حجته ويبطلون به مذهبه واستتار المؤمنين في بيوتهم وانقطاعهم عن الجُمعات والجماعات وهربهم من بلد إلى بلد خوفا على أنفسهم وأديانهم وكثرة موافقة الجهال والرعاع من الناس لبشر على مذهبه وكفره وضلالته والدخول في بدعته والانتحال لمذهبه رغبة في الدنيا ورهبة من العقاب الذي كان يعاقب به من خالفه على مذهبه ..
إلى أن قال: وكان الناس في ذلك الزمان وذلك الوقت في أمر عظيم قد منع الفقهاء والمحدثون والمذكرون والداعون من القعود في الجامعين ببغداد وفي غيرهما من سائر المواضع إلا بشر المريسي وابن الجهم ومن كان موافقا لهما على مذهبهما فإنهم كانوا يقعدون يجتمع الناس إليهم فيعلمونهم الكفر والضلال وكل من أظهر مخالفتهم وذم مذهبهم أو اتهم بذلك أحضر فإن وافقهم ودخل في كفرهم وأجابهم إلى ما يدعونه إليه وإلا قتلوه سرا وحملوه من

بلد إلى بلد فكم من قتيل لم يُعلم به وكم من مضروب قد ظهر أمره وكم ممن قد أجابهم واتبعهم على قولهم من العلماء خوفا على أنفسهم لما عرضوا على السيف والقتل أجابوا كرها وفارقوا الحق عيانا وهم يعلمون لما حذروا من بأسهم والوقوع بهم.
الحيدة ت. الفقيهي ص21 : 23

وهذه مبالغات تشهد على نكارة القصة وعدم صحتها فإن بشر المريسي لم يمتحن الناس وإنما الذي بدأ بامتحانهم نائب المأمون إسحاق بن إبراهيم بأمر من المأمون قبيل وفاته وهو في الغزو خارج بغداد ولم يكن معه بشر المريسي ومات ولم يستكمل امتحانه ولم يطلب من أعوانه امتحان عامة الناس وإنما امتحن رؤوس العلم والدعوة ورجال الدولة ولم يفزع الناس ولا انقطعت الجمعة والجماعات ولم يقتل أحداً ولم يهرب أحداً خوفاً على نفسه فكل هذا من نسج خيال مؤلف كتاب الحيدة ولا أصل له !
الخليفة المأمون بالكاد أعلن المحنة ثم مات بعدها ببضعة أشهر في نفس العام وهو في غربته ولم يحدث شيئاً فهذه كلها مبالغات ودعاوى تشهد على اختلاق القصة وعدم صحتها

ويبدو أن الكاتب اختلط عليه الأمر فلم يفرق بين محنة الخليفة المأمون سنة 218هـ وبين محنة الخليفة الواثق التي بدأت سنة 227هـ منذ توليه الخلافة

قال أبو عمر محمد بن يوسف الكندي: أخبرني ابن قُدَيد أن أمر المِحنة كَانَ سهلًا فِي وِلاية المُعتصِم لم يكن الناس يُؤخَذون بها شاءُوا أو أبَوا حتى مات المُعتصم وقام الواثق سنة سبع وعشرين ومائتين فأمر أن يؤخذ الناس بها وورد كتابه عَلَى محمد بْن أَبِي الليث بذلك وكأنها نار أُضرمت
أخبرني محمد بْن عَبْد الصمَد عَنْ أَبِي خَيْثَمة عليّ بْن عمرو بْن خَالِد قَالَ: لمَّا استخلف الواثق ورد كتابه عَلَى محمد بْن أَبِي الليث بامتحان الناس أجمع فلم يبقَ أحد من فقيه ولا مُحدِّث ولا مُؤَذِّن

ولا مُعلِّم حتى أُخذ بالمِحنة فهرب كثير من الناس ومُلئت السجون ممَّن أنكر المحنة وأمر ابن أَبِي الليث بالاكتتاب عَلَى المساجد لا إله إلا اللَّه ربّ القرآن المخلوق فكُتب ذَلِكَ عَلَى المساجد بفُسطاط مِصر ومنع الفُقهاء من أصحاب مالك والشافعيّ من الجلوس فِي المسجِد وأمرهم أن لا يقرَبوه.
كتاب القضاة ط. العلمية ص322

فهذا الخبر الذي يرويه الكندي عما حصل في مصر سنة 227 بأمر الواثق قريب مما زعمه كاتب الحيدة ونَسَبَه للمأمون سنة 218
وقد بلغت المحنة أشدها في عهد الواثق وهو الذي قتل أحمد بن نصر الخزاعي لما أتى به وسأله عن القرآن
فلو أنه نسج هذه القصة في زمن الواثق أمام أحمد بن أبي دؤاد لكانت أقرب للتصديق من نسجها في زمن المأمون أمام بشر المريسي
والظاهر أن الكاتب نسج الملابسات والأحداث التي زعمها قبل المناظرة بحسب ما اشتهر وأشيع من قصص الامتحان واضطهاد أهل الحديث من غير تحقيق لأزمنة الحوادث ويأبى الله إلا أن يفضح الكذابين بجهلهم بحوادث التاريخ ورحم الله سفيان الثوري فإنه قال: لَمَّا اسْتَعْمَلَ الرُّوَاةُ الْكَذِبَ اسْتَعْمَلْنَا لَهُمُ التَّأْرِيخَ.

وهذا المدعو محمد بن الحسن بن أزهر راو الكتاب يبدو أن له اشتغالاً بالكلام والانتصار لعقيدة أهل الحديث والرد على المعتزلة والشيعة لكنه جاهل بالتاريخ وعلم الآثار وهذا ظاهر في الحوادث والشخصيات التي يذكرها في غير زمنها
وكذا في الحديث الذي رواه الخطيب من طريقه عن عباس الدوري عن قبيصة بن عقبة عن سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: لَمَّا أَنْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ مُهَاجِرًا مِنْ مَكَّةَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ أَكْثَرُوا عَلَيْهِ الْيَهُودُ الْمَسَائِلَ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُجِيبُهُمْ جَوَابًا مُدَارَكًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَكَانَتْ خَدِيجَةُ قَدْ مَاتَتْ بِمَكَّةَ فَلَمَّا أَنْ دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَاستَوْطَنَهَا طَلَبَ التَّزْوِيجَ فَقَالَ لَهُمْ: أَنْكِحُونِي فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ بِخِرْقَةٍ مِنَ الْجَنَّةِ طُولُهَا ذِرَاعَانِ فِي عَرْضِ شِبْرٍ فِيهَا صُورَةٌ لَمْ يَرَ الرَّاءُونَ أَحْسَنَ مِنْهَا فَنَشَرَهَا جِبْرِيلُ وَقَالَ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لَكَ أَنْ تَزَوَّجْ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَا مِنْ أَيْنَ لِي مِثْلُ هَذه الصُّورَةِ يَا جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ؟ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لَكَ تَزَوَّجْ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدّيقِ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَنْزِلِ أَبِي بَكْرٍ فَقَرَعَ الْبَابَ ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُصَاهِرَكَ وَكَانَ لَهُ ثَلاثُ بَنَاتٍ فَعَرَضَهُنَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَتَزَوَّجَ هَذِهِ الْجَارِيَةَ وَهِيَ عَائِشَةُ فَتَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قال الخطيب في هذا الحديث وحديث آخر: رِجَالُ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ كُلُّهُمْ ثِقَاتٌ غَيْرَ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ وَنَرَى الْحَدِيثَيْنِ مِمَّا صَنَعَتْ يَدَاهُ.

وقال ابن الجوزي: مَا أبعد الَّذِي وَضعه عَن الْعلم فَإِن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تزوج عَائِشَة وَهُوَ بِمَكَّةَ وَلم يكن لأبي بَكْر حِينَئِذٍ ثَلاث بَنَات مَا كَانَ لَهُ غير أَسمَاء وعَائِشَة وَإِنَّمَا جَاءَتْهُ بنت بعد وَفَاته يُقَال لَهَا أم كُلْثُوم.
الموضوعات ط. المكتبة السلفية 8/2

فهذا الرجل محمد بن الحسن بن أزهر جاهل بالتاريخ وعلم الآثار وكان يضع الأحاديث والكتب على التوهم من غير ملاحظة الزمن التاريخي لمن يسند إليه الأخبار وهكذا عامة الوضاعين يكشفهم علم التاريخ كما قال الامام الثوري رحمه الله

قرائن أخرى تدل على نكارة متن الكتاب

ومن قرائن نكارة المتن في كتاب الحيدة يقول كاتبه: أتاني أصحاب السلطان واحتملوني وابني فأوقفوني بين يدي عمرو بن مسعدة وكان قد جاء ليصلي الجمعة ..الخ

الحيدة ت. الفقيهي ص23
وقد تكرر ذكر عمرو بن مسعدة في أربعة مواضع أخرى من الكتاب بحسب ط. الفقيهي ص24 : 28

وعمرو بن مسعدة هو كاتب المأمون وقد توفي قبل اعلان المحنة !
قال الخطيب البغدادي: عمرو بن مسعدة بن سعيد بن صول بن صول أَبُو الفضل وهو ابن عم إبراهيم بن العباس بن مُحَمَّد بن صول بن صول
وكان أحد كتاب المأمون أسند الحديث عَنْ أمير المؤمنين المأمون ... قَالَ: ومات عمرو بن مسعدة في هذه السنة بأذنة يعني سنة سبع عشرة ومائتين.
تاريخ بغداد ت. بشار 111/14

وقال د. محمد حاج عيسى ساخراً من ذكر الكاتب له: (ولا تتفاجأ أيها القارئ إن قيل لك إن عمرو بن مسعدة كاتب المأمون كان قد توفي قبل ذلك خلال سنة 217هـ وقيل سنة215هـ)

ومن قرائن نكارة المتن يقول كاتبه: قال محمد بن الحسن سمعت أبا عبد الله يقول: قال لي أبي: جاء عبد العزيز إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل رضي الله عنه وهو في الحبس فقال: إن هذا الأمر الذي أنت فيه ليس تطيقه على دقته فاذكرني فبعث إليه أبو عبد الله أنا قد وقعت وأخاف أن أذكرك فأشيط بدمك فيكون قتلك على يدي فأقتل أنا أحب إلي فانصرف بسلام.
الحيدة ت. الفقيهي ص26

وأحمد بن حنبل كانت محنته في زمان المعتصم بعد موت المأمون وقد حبسه نائب المأمون في بغداد حتى يرجع المأمون فمات ولم يرجع فكيف يقول الكناني أنه قابل أحمد بن حنبل في الحبس وقال له أحمد: أنا قد وقعت وأخاف أن أذكرك فأشيط بدمك ؟!

فلا المأمون امتحن الناس وهو ببغداد ولا الكناني قابل أحمد بن حنبل في محنته فهذا حوار مختلق لا أصل له وقد ورد في بعض نسخ الكتاب ولم يرد في نسخ أخرى
وليس من سمت أهل العلم هذه الجرأة في طلب المناظرة والحرص عليها والتعرض للفتن بهذه الطريقة حتى إنه يسافر خصيصاً لطلب المناظرة أمام الخليفة ولكن هكذا كان الكاتب يحرص على تفخيم شخص الكناني وإظهاره بمظهر البطل الخارق وأنه سيفعل ما يعجز عنه أحمد بن حنبل
والعجيب أن أحمد بن حنبل لم يرد عنه قط ذكر عبد العزيز الكناني ولا أنه قابله ولا أنه ناظر المريسي أو غيره في مسألة خلق القرآن !

وكاتب القصة أخذ في تعظيم شخص عبد العزيز الكناني ووصفه بأوصاف ليست من سمت علماء ذلك الزمان فأخذ في الصفحات الأولى يذكر ما كان من حماس الكناني وحرصه الشديد على مناظرة المعتزلة لإفحامهم وأنه واثق من نفسه غاية الثقة أنه سيغلب كبيرهم بلا شك حتى إنه رحل إلى بغداد فقط من أجل أن يناظر المريسي أمام الخليفة في وقت يهاب العلماء من مثل هذه المناظرة ويخافون من بطش السلطان !
وهذا كله من المبالغة في شخص الرجل بما لا يُعرف من أخلاق أهل الحديث الذين كانوا لا يحرصون على المناظرة ويحثون الناس على اجتنابها وترك مجادلة أهل الكلام وذم مناظراتهم وهذا مستفيض عنهم وكان أحمد بن حنبل رحمه الله لا يريد مناظرتهم ولولا إكراه السلطان لما ناظرهم

ومن نكارة المتن أيضاً يقول الكاتب على لسان عبد العزيز الكناني:
ثم أقبل علي المأمون فقال لي: الاسم ؟ فقلت: عبد العزيز فقال لي: ابن من ؟ فقلت: ابن يحي قال: ابن من؟ قلت: ابن عبد العزيز قال لي: ابن من ؟ قلت: ابن مسلم قال: ابن من ؟ قلت: ابن ميمون الكناني قال: وأنت من كنانة ؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين فتركني

ولم يكلمني هنيهة ثم أقبل علي فقال: من أين الرجل ؟ قلت: من الحجاز قال: من أي الحجاز قلت: من مكة قال: ومن تعرف من أهلها ..الخ
الحيدة ص28

وهذا أيضاً منكر فإن أحمد بن أبي طاهر تلميذ عبد العزيز الكناني ذكر أن الكناني اجتمع ببشر المريسي وناظره عند المأمون في بعض مسائل الايمان ولم يتعرض لخلق القرآن وكان هذا قبل المحنة وقبل خروج المأمون من بغداد وسيأتي الكلام عليها
وأيضاً لم يكن الكناني بالرجل المجهول عند الخلفاء ونقل عنه ابن سهل الرازي أنه حضر اجتماع الفقهاء عند الرشيد للنظر في أمر يحيى بن عبد الله الهاشمي
فالكناني كان فقيها له شهرته وحضوره وكان المأمون يعرفه قبل اعلان المحنة وكان يعظه ويحضر مجالسه ويناظر بحضرته في مسائل الكلام فكيف يزعم الكاتب أنه دخل على المأمون فلم يعرفه وسأله عن اسمه ونسبه !

ومن نكارة المتن أيضاً قول الكاتب بعد ما أطال في بيان غلط استدلال بشر المريسي على خلق القرآن بقول الله (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا) قال على لسان المأمون: ما أقبح هذا وأشنع وأعظم القول به.
يعني حجة بشر واستدلاله بالآية ..
ثم روى عن المأمون بعد ما اقتنع بحجة عبد العزيز الكناني في ابطال الاستدلال بآية الجَعْل قال المأمون: حسبك يا عبد العزيز قد أقر بشر على نفسه بالكفر وإحلال الدم وأشهد على نفسه بذلك وقد صدقت في كل ما قلت ولكنه قال ما قال وهو لا يعقل ولا يعلم ما عليه في ذلك وهذا شيء يلزمه في نفسه خاصة ولا يلزم غيره ممن لا يقر بمثل ما أقربه ولا يحكم به على غيره بمثل ما حكم به بشر على نفسه.
الحيدة ص64-66

يعني المأمون يقر ببطلان هذه الحجة وأن بشراً لا يعقل ولا يعلم ما عليه في ذلك ثم يأتي هو ويمتحن الناس ويشدد عليهم ويوصي أخاه وهو في النزع أن يعمل بسيرة أخيه في القرآن !
وقد جاء في خطاب المحنة الذي أرسله المأمون لعامله ببغداد قبيل وفاته قال: وقد قَالَ الله عز وجل في محكم كتابه الذي جعله لما في الصدور شفاء وللمؤمنين رحمة وهدى (إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا) فكل ما جعله الله فقد خلقه وقال (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُماتِ وَالنُّورَ)

وقال في موضع آخر: وكان كل شيء دونه خلقا من خلقه وحدثا هو المحدث له وإن كان القرآن ناطقا به ودالا عليه وقاطعا للاختلاف فيه وضاهوا به قول النصارى في دعائهم في عيسى بن مريم أنه ليس بمخلوق إذ كان كلمة الله والله عز وجل يقول (إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا) وتأويل ذلك إنا خلقناه كما قَالَ جل جلاله (وَجَعَلَ مِنْها زَوْجَها لِيَسْكُنَ إِلَيْها) وقال (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِباساً وَجَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً) (وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) فسوى عز وجل بين القرآن وبين هذه الخلائق التي ذكرها في شية الصنعة وأخبر انه جاعله وحده فقال (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ) فدل ذلك على إحاطة اللوح بالقرآن ولا يحاط الا بمخلوق.

تاريخ الطبري 635-632/8

فانظر إلى كلام المأمون واحتجاجه على خلق القرآن بنفس الآية في خطاباته الأخيرة قبيل موته وقد احتج بها في موضعين من رسائله التي يأمر نائبه فيها بالمحنة ثم قارن بين هذه الرسائل التاريخية وبين الحوار المصطنع الذي وضعه صاحب كتاب الحيدة على لسانه !

أيضاً الكاتب انتقص من قدر المعتزلة وأدلتهم التي يحتجون بها كتفسيرهم لمعنى الأمر والجَعْل ومعنى الارادة وكن فيكون وغيرها من الأدلة التي يحتجون بها وقد حاد الكاتب عن ذكر أهم دليل يحتجون به وهو قول الله تعالى (مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ) وهذا من أهم أدلة المعتزلة فكيف لا يحتج به المريسي في مثل هذا الموقف إن كان له أصل في حدوثه ووقوعه ؟!
فهذه الحيدة من كاتب القصة قرينة أخرى على كشف نكارة القصة وأن الكاتب كان ينتقي ما يريد الرد عليه

ومن نكارة المتن أيضاً ما قاله الكاتب في آخره: قال المأمون: أحسنت يا عبد العزيز ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم فحملت بين يدي وانصرفت من مجلسه على أحسن حال وأجملها قد أعز الله دين الإسلام وعز أهله وأذل الكفر وأهله فلله الحمد والشكر على نعمه كلها وعلى مننه وتوفيقه وتسديده
قال عبد العزيز: فسر المسلمون جميعا بما وهبهم الله من إظهار الحق وقمع الباطل وانكشف عن قلوبهم ما كان قد اكتنفها من الغم والهم والحزن وجعل الناس يجيئون إلي أفواجا حتى أغلقت بابي واحتجبت عنهم خوفا على نفسي وعليهم من مكروه يلحقنا فقالوا: لابد أن تملى علينا ما جرى لنعرفه ونتعلمه فتهيبت ذلك وتخوفت سوء العاقبة فلما ألحوا علي قلت: أنا أذكر بعض ما جرى مما لا يكون علي حجة في ذكره فرضوا بذلك فأمليت عليهم أوراقا يسيرة مقدار عشر أوراق مختصرة مما جرى لأقطعهم بها عني وعن ملازمة بابي ولم يتهيأ لي شرح هذا كله لما تخوفت على نفسي مما يلحقني بعضه وأنا أذكر ما لحقني بعد هذا المجلس وما جرى بسبب تلك الأوراق التي كتبها الناس عني في كتاب مفرد بعد هذا إن شاء الله تعالى.
الحيدة ص86

وهذا من عجائب الوضع وكأنها المناظرة الكبرى التي يتابعها الناس من كل حدب وصوب فأين هؤلاء الذين أتوا إليه أفواجاً

وأملى لهم بعض ما جرى ؟! لماذا لم نر أحداً من ثقات المسلمين يروي تلك المناظرة المزعومة ؟!
أين رواة الحديث وأصحاب كتب التاريخ من تلك المناظرة الكبرى التي سَرَّتْ المسلمين جميعاً وأتوا إليها أفواجاً ؟!
ومن هذا الذي رفض القول بخلق القرآن وتركه المأمون يخرج سالماً فضلاً عن أن يكافئه بعشرة آلاف درهم ويقول له أحسنت أحسنت !
ألم يأمر المأمون بحبس كل من امتنع عن الاجابة في المحنة حتى ينظر في أمرهم ؟
ألم يمتحن أبا مسهر الشامي وهو في دمشق وخاف أبو مسهر على نفسه وأقر بخلق القرآن ؟ ثم سأله المأمون عن بعض مسائل الفقه فقال لا أدري فقال له المأمون: اخرج قبّحك اللَّه وقبَّح من قلدك دينه وجعلك قدوة. يعني أقر بخلق القرآن ولم يسلم من لسانه
ألم يرضخ أكثر أهل الحديث ويستجيبوا في المحنة خوفاً على أنفسهم من بطش السلطان ؟
أكثرهم خافوا على أنفسهم وأخذوا برخصة المكره
ومن ثبت على قوله منهم عوقب بالحبس أو الضرب إلا هذا البطل الأسطوري الذي ليس فقط ثبت في المحنة وإنما هو الذي سعى إليها وسافر في البلاد وترك الأهل والأولاد من أجل أن يقف أمام المأمون ويناظر كبار أصحابه ويفحمهم وينال رضا المأمون ويعطيه الجوائز والصلات !
كل هذا ولا أحد من أهل الحديث يحتفي به ويذكر جهاده وفضله !
إن أحمد بن حنبل لما ناظر المعتزلة ناظرهم وهو مكره ولم يذعنوا له ولم يرضوا بقوله وأمر المعتصم بضربه في آخر المناظرة لما أصر على قوله ولم يرجع
لكن عبد العزيز الكناني هو الذي ذهب إليهم وحرص على مناظرتهم بكل ثقة ولم يقم له أحد وأفحمهم جميعاً ونال رضا الخليفة وكافئه بمال جزيل !
بطولة أسطورية مثل بطولات القصص والروايات !

يا رجل إن عبد العزيز الكناني لا ذكر له في كتب أهل الحديث الذين عاصروه ولا يعرفه أحد منهم ولا يعرفون تلك المناظرة حتى جاء مجهول بعد ذلك وزعم حكايتها عن جماعة من أصحاب عبد العزيز ثم جاء بعده كذاب فجود الرواية وزاد عليها قصصاً وحكايات جعلت منه بطلاً أسطورياً لا ند له ولا مثيل

وهل يحصل مثل هذا الحدث العظيم الذي يهتم به المسلمون لهذه الدرجة ولا نعرفه إلا من رواية كذاب ومجهول ؟!

ويحصل كل هذا في مدينة بغداد معقل أصحاب الحديث وفي حياة أحمد بن حنبل ولا تجد له ذكراً في أقواله ولا في أقوال أصحابه وأقرانه !

صدق من قال (كلما بالغ الكذاب في الوصف كلما انكشف للسامع كذبه)

تتمة الكلام على رواية ابن بطة

قال ابن بطة: حَدَّثَنَا أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ رَجَاءٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أَيُّوبَ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَمْرٍو النَّزَلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الْقَاسِمِ الْعَطَّافُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ: حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ بِشْرٍ وَدُبَيْسٌ الصَّائِغُ وَمُحَمَّدُ بْنُ فَرْقَدٍ قَالُوا: قَالَ لَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يَحْيَى الْمَكِّيُّ الْكِنَانِيُّ: أَرْسَلَ لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمَأْمُونُ فَأَحْضَرَنِي وَأَحْضَرَ بِشْرَ بْنَ غِيَاثٍ الْمِرِّيسِيَّ فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ فَلَمَّا جَلَسْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ أَحَبُّوا أَنْ تَجْتَمِعَا وَتَتَنَاظَرَا فَأَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِحَضْرَتِي فَأَصِّلَا فِيمَا بَيْنَكُمَا أَصْلًا إِنِ اخْتَلَفْتُمَا فِي فَرْعٍ رَجَعْتُمَا إِلَى الْأَصْلِ فَإِنِ انْقَضَى فِيمَا بَيْنَكُمَا أَمْرُهُ إِلَّا كَانَتْ لَكُمَا عَوْدَةٌ .. ثم ذكر المناظرة

وقال في آخرها: قَالَ أَبُو أَيُّوبَ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَمْرٍو: وَأَخْبَرَنِي الْعَطَّافُ بْنُ مُسْلِمٍ عَنْ هَؤُلَاءِ [الْمُسمينَ] فِي صَدْرِ هَذَا الْكِتَابِ وَعَنْ غَيْرِهِمْ مِنْ أَصْحَابِ الْمَكِّيِّ أَنَّ عَبْدَ الْعَزِيزِ قَالَ: اجْتَمَعْتُ مَعَ أَمِيرِ

الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ هَذَا الْمَجْلِسِ فَجَرَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مُنَاظَرَاتٌ كَثِيرَةٌ فَقَالَ لِي بَعْدَمَا جَرَى بَيْنَنَا وَيْحَكَ يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ قُلِ الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ فَوَاللَّهِ لَأُوطَأَنَّ الرِّجَالَ عَقِبَكَ وَلَا نُوهِنُ بِاسْمِكَ فَإِنْ لَمْ تَقُلْ فَانْظُرْ مَا يَنْزِلُ بِكَ مِنِّي فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ الْقُلُوبَ لَا تَرُدُّ بِالرَّغْبَةِ وَلَا بِالرَّهْبَةِ تُرَغِّبُنِي فَتَقُولُ: قُلْ حَتَّى أَفْعَلَ بِكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ انْظُرْ مَاذَا يَنْزِلُ بِكَ مِنِّي فَيَمِيلُ إِلَيْكَ لِسَانِي وَلَا يَنْطِقُ لَكَ قَلْبِي فَأَكُونُ قَدْ نَافَقْتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ: وَيْحَكَ فَبِمَاذَا تَرُدُّ الْقُلُوبُ؟ قَالَ: قُلْتُ: بِالْبَصَائِرِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَصِّرْنِي مِنْ أَيْنَ الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ؟ فَقَالَ لِي: صَدَقْتَ.
الابانة الكبرى 226/6 : 248

وهذه الرواية تفرد بها العطاف بن مسلم وهو مجهول كما سبق ذكره وروايته على ضعفها ليس فيها شيئاً من مظاهر اضطهاد أهل السنة التي زعمها مؤلف الكتاب ولا أن الكناني كان حريصاً على المناظرة وسافر إلى بغداد من أجلها ودخل على أحمد بن حنبل في محبسه ولا غير ذلك من الأحداث التي اختلقها ابن أزهر

ومحمد بن الحسن بن أزهر راوي كتاب الحيدة يظهر من اسناد الكتاب أنه من طبقة تلاميذ العطاف بن مسلم فإنه قال: حدثني أبو عبد الله العباس ابن محمد بن فرقد قال: حدثني أبي محمد بن فرقد بهذا الكتاب من أوله إلى آخره قال: قال عبد العزيز بن مسلم الكناني .. فذكره
فهو يروي عن محمد بن فرقد بواسطة ابنه أما عطاف بن مسلم فهو يروي عن محمد بن فرقد بلا واسطة وقرن معه آخرين ذكر أنهم من أصحاب عبد العزيز وعامة من ذكرهم لا يُعرفون عند أهل الحديث وليس فيهم توثيق معتبر فضلاً عن ذكرهم من أصحاب عبد العزيز
والعباس بن محمد بن فرقد الذي يروي عنه ابن أزهر لم أجد له ترجمة ولم أجد له توثيقاً من أئمة الحديث كذلك وقد روى ابن

أزهر المناظرة وزاد فيها أشياء مفتعلة من أحداث وملابسات وبعضها يخالف ما في رواية ابن بطة

ففي رواية ابن بطة قال الكناني: أَرْسَلَ لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمَأْمُونُ فَأَحْضَرَنِي وَأَحْضَرَ بِشْرَ بْنَ غِيَاثٍ الْمِرِّيسِيَّ فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ فَلَمَّا جَلَسْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ أَحَبُّوا أَنْ تَجْتَمِعَا وَتَتَنَاظَرَا فَأَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِحَضْرَتِي.

فهنا المأمون هو الذي أرسل إلى الكناني وأحضره هو والمريسي وطلب منهما المناظرة بناء على طلب الناس وهذا يخالف ما في كتاب الحيدة من أن الكناني هو الذي حرص بكل الوسائل على المناظرة بين يدي المأمون وأن المأمون لم يكن يعرفه وأن بشر المريسي كان حاضراً بالفعل ولم يأت خصيصاً لمناظرة الكناني هذا بالاضافة إلى الأحداث الغريبة التي زعمها كاتب الحيدة قبل المناظرة والتي سبق بيان نكارتها وليس في رواية ابن بطة شيئاً منها ولعلها هي الأصل الذي وضع عليها ابن أزهر كتاب الحيدة

فكتاب الحيدة من رواية ابن أزهر موضوع ومزور لا تصح نسبته لعبد العزيز الكناني وفيه الكثير من الأحداث المزعومة التي يكذبها علم التاريخ

ورواية ابن بطة مثلها في الضعف والنكارة وإن كانت مختصرة وليست فيها الكثير مما جاء في كتاب الحيدة من أحداث

وقوله في آخر رواية ابن بطة (اجْتَمَعْتُ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ هَذَا الْمَجْلِسِ فَجَرَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مُنَاظَرَاتٌ كَثِيرَةٌ فَقَالَ لِي بَعْدَمَا جَرَى بَيْنَنَا وَيْحَكَ يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ قُلِ الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ فَوَاللَّهِ لَأُوطَأَنَّ الرِّجَالَ عَقَبِكَ وَلَا نُوهِنُ بِاسْمِكَ فَإِنْ لَمْ تَقُلْ فَانْظُرْ مَا يَنْزِلُ بِكَ مِنِّي)

فهذا في النكارة على نحو ما تقدم فإن المأمون لم يمتحن العلماء بنفسه في بغداد وقد مات في الغزو قبل أن يعود

فالحاصل أن هذه المناظرة على شهرتها عند المتأخرين ليس لها اسناد صحيح ولا تُعرف عند أهل العلم المعاصرين لزمن الحدث ولا ذكر لها في كتب الحديث والتاريخ حتى جاء راو مجهول وزعم روايته للمناظرة عن جماعة من أصحاب عبد العزيز الكناني

ثم جاء بعده ابن أزهر المتهم بالكذب فجود الرواية وزاد فيها قصصاً ونقاشات وجعل منها كتاب الحيدة المعروف ورواه عنه أبو عمرو الدقاق المعروف بابن السماك وهو محدث مشهور في زمانه وقد وثقه جماعة إلا أنه كان يروي الغرائب والمناكير عن غير الثقات ومن روايته ورواية غيره عن محمد بن أزهر اشتهرت رواية الكتاب !

وثمة رواية أخرى تخالف كل ما سبق أخرجها أحمد بن أبي طاهر في كتاب بغداد ..

رواية أحمد بن أبي طاهر عن عبد العزيز الكناني

وهو أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور المتوفى سنة 280هـ صاحب كتاب بغداد وهو أقدم كتاب وصل إلينا في شأن بغداد ومنه استفاد الخطيب البغدادي في تاريخه والذي وصلنا منه أجزاء وليس الكتاب بكماله

قال الخطيب: كَانَ أحد البلغاء الشعراء الرواة ومن أهل الفهم المذكورين بالعلم وله كتاب بغداد المصنف فِي أخبار الخلفاء وأيامهم.

تاريخ بغداد 345/5

وقد أسند فيه عن عبد العزيز الكناني مناظرة أخرى جرت بينه وبين بشر المريسي في حضرة المأمون وهي مناظرة مختلفة تتكلم عن بعض مسائل الإيمان

قال ابن أبي طاهر: أخبرنَا عبد الْعَزِيز الْمَكِّيّ الْكِنَانِي الْمُتَكَلّم قَالَ: اجْتمعت أَنا وَبشر المريسي عِنْد الْمَأْمُون فَقَالَ لي ولبشر: قد اجتمعتما على نفي التشبيه ورد الْأَحَادِيث الكاذبة عَن رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فتكلموا فِي الْكفْر وَالْإِيمَان قَالَ قلت: وفقك اللَّهِ يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ: أما إِن مظهر البابي أَخْبرنِي قَالَ: أَخْبرنِي أَبُو الزبير عَن جَابر ابْن عبد اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلَّم: إِن الْيَهُود كذبت على مُوسَى وَإِن النَّصَارَى كذبت على عِيسَى وسيكذب علي أنَاس من أمتِي فَإِذا بَلغَكُمْ عني حَدِيث مُنكر فأعرضوه على كتاب اللَّهِ فَمَا وَافق كتاب اللَّه فَهُوَ مني وَأَنا قلته وَمَا خَالف كتاب اللَّهِ فَلَيْسَ مني وَلم أَقَله فَكيف يَقُول رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلَّم بِخِلَاف كتاب اللَّهِ وبكتاب اللَّهِ هدى اللَّهِ نبيه صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّم ثمَّ قَالَ: يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ الْقَوْم شركاؤنا فِي الْمجْلس فَهَل ينصب بشر علما نَعْرِف بِهِ انْتِقَاض المنتقض وَصِحَّة الصَّحِيح؟ قَالَ: فَقَالَ بشر: نعم حَدثنِي مُحَمَّد بن طَلْحَة بن مصرف قَالَ: أَخْبرنِي زبيد الايامي عَن مرّة الْهَمدَانِي عَن رجل من بني هَاشم قَالَ: قَالَ: رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: كل قوم أولى رُتْبَة من أَمرهم ومصلحة من أنفسهم يردون على من سواهُم ويتبين الْحق من ذَلِك بالملابسة بِالْعَدْلِ عِنْد ذَوي الْأَلْبَاب قَالَ: والهاشمي عَليّ بن أبي طَالب رَحْمَة الله عَلَيْهِ قَالَ الْمَكِّيّ: فَقلت هَل تذكر شَيْئا تعرف بِهِ صَحِيح الْقيَاس من متناقضة؟ قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي شَيْء أَكثر من هَذَا قلت: وَلَكِن عِنْدِي يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ وَهِي أحد المخبآت الَّتِي أَعددْت لهَذَا الْمجْلس مُنْذُ نَحْو ثَلَاثِينَ سنة قَالَ: فَقَالَ بشر مَا كَانَ يَنْبَغِي لَك أَن تكْتم علما عنْدك قلت: إِن لأهل الْعلم حلية يتزينون بهَا ويزينون بهَا مقالتهم وَلَا يعلمونها أهل الْبدع لِئَلَّا يزينوا بهَا بدعهم وَقد أَقَامُوا حجتهم فِي سوى ذَلِك على مخالفيهم قَالَ: قلت أَن النَّاس اخْتلفُوا ثمَّ تحاجوا بعد الِاخْتِلَاف فَلَو كَانَت غايتهم فِي الِاحْتِجَاج التخطئة كَانَ أحدهم قد خطأ صَاحبه فِي الِابْتِدَاء فَمَا أَرَادَ إِلَى العناء وَلكنه أَرَادَ النَّقْض أَو ينصب لَهُ علما يعرف بِهِ فَإِن الْقَوْم شركاؤنا فِي الْمجْلس قَالَ أَمِير الْمُؤمنِينَ: هَات قلت: يعرف انْتِقَاض كل منتقض تكلم النَّاس فِيهِ من طب أَو نُجُوم أَو فتيا أَو عَرَبِيَّة أَو كَلَام بِأحد وُجُوه ثَلَاثَة فَكل قَول دخله وَاحِد مِنْهَا فَهُوَ المتناقض فَقَالَ: عِنْد هَذَا فَإِن الْمعرفَة قَول قَالَ الله عز وَجل (وَيَقُولُونَ فِي أنفسهم) قلت: يُسمى الْفِعْل قولا فِي اللُّغَة وَقد يَقُول الرجل قولا بِيَدِهِ قَالَ الشَّاعِر: وَقَالَت لَهَا العينان سمعا وَطَاعَة ... وحدرتا كالدر لما يثقب
فقولهما أَنَّهُمَا تهميا بالدمع وَقد قَالَ الله عز وَجل {قَالَتَا أَتَيْنَا طائعين} وقولهما هُوَ مجيئهما فَترك هَذَا
قَالَ: وحَدثنِي عَن مُشْرك كَانَ زَانيا فَتَابَ عَن شركه وَأقَام على الزِّنَا أَلَيْسَ قد خرج من الْكفْر إِلَى الْإِيمَان قلت: وَلم يخرج الْإِيمَان الَّذِي يسْتَوْجب بِهِ الِاسْم حَتَّى يدع الزِّنَا قَالَ: وَالله ليدخلن الْجنَّة وَلَو بعد ألف سنة قلت: مَا هَذَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ هَذَا جَوَاب أَو مَسْأَلَة؟

فَأنْكر ذَلِك الْمَأْمُون قَالَ ثمَّ قلت لَهُ: حَدثنِي عَن الْإِيمَان مَا هُوَ؟ قَالَ: معرفَة الله بِحجَّة قلت: بخصلة هُوَ أم بخصال؟ قَالَ: خصْلَة تنتظم مَعَاني قلت: فَهَذَا الْمَعْنى هُوَ مِنْهَا ذَلِك الْمَعْنى الآخر؟ فخلط وَتَركه فَقَالَ آتِيك بِمَا هُوَ أسهل من هَذَا أكلف الله جلّ وَعز أهل زمَان عِيسَى فِي زمَان مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَالَ كلفهم أَن يعلمُوا أَنه سيبعثه رَسُولا قلت فَمَا كلفنا نَحن؟ قَالَ: أن نعلم أَنه قد بَعثه قلت يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ: أفكلام هَذَا؟ قَالَ: لَا قلت: فَإِذا عزمت أسأله قَالَ: سل قلت: حَدثنِي عَمَّن آمن بمُوسَى وَعِيسَى وَلم يسمع بِأَن مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم سيبعث هُوَ مُؤمن؟ قَالَ: فلست إِذا من المرجئة إِن لم أقل هُوَ مُؤمن قلت: فَإِن سمع بعد ذَلِك بِمُحَمد وَلَقي مُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلَام هَل أصَاب الْإِقْرَار بِهِ إِيمَانًا لم يكن أَصَابَهُ قبل ذَلِك فَعلم أَنه لَيْسَ لَهُ حِيلَة فَقَالَ يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ: عَليّ فِي الْوضُوء شدَّة فَأذن لَهُ

قَالَ: الْمَكِّيّ: وَقلت لِلْمَأْمُونِ بعد الْخطْبَة فِي مجلسي: أعلم يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ إِن كل سَبَب اتَّصل أَو إخاء انْعَقَد على غير التَّذْكِير بِاللَّه فَهُوَ عِنْده يبور وقديما مَا تمنى لي إخْوَانِي هَذَا المقعد وَمَا أمكنني إِلَّا فِي ظلّ سلطانك بخروجك من طبع الْحِرْص وفرط الشره

واطراحك مَا كَانَ يلهج بِهِ غَيْرك من مُلُوك وسوقة عتوا فِيمَا جرت بِهِ الْمَقَادِير قدرهَا الله فانقرضوا وأضحت دِيَارهمْ عَافِيَة ومساكنهم خاوية لَا يقترفون سَيِّئَة وَلَا يَعْتَذِرُونَ من أُخْرَى سلفت وَلَا يزِيدُونَ فِي حَسَنَة قد غلقت رهون أَكْثَرهم وَوَجَبَت شقوتهم وَانْقطع من الْفرج رجاؤهم وَإِنَّمَا ينْتَظر بهم لحاق هَذَا الْخلق عتوا قَلِيلا وشقوا طَويلا وأضحوا موعوظا بهم وأدبا لغَيرهم بِحجَّة الله عَلَيْهِم قَالَ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: السعيد من وعظ بِغَيْرِهِ وَكَانَ أَبُو الدَّرْدَاء يكثر بِأَن يَقُول: يَا أهل الشَّام: مَالِي أَرَاكُم تجمعون مَا لَا تَأْكُلُونَ وتبنون مَالا تسكنون أَلا أَن عادا أَعْطَيْت أنعاما وماشية وَمد لَهَا مَا بَين صنعاء إِلَى الشَّام فَمن يشترى ذَلِك الْيَوْم مني بِرُبع دِينَار

وَأعلم يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ أَن النَّاس إِنَّمَا يرهبون يَوْم الْقِيَامَة من إِحْدَى ثَلَاث لَيست هُنَاكَ رَابِعَة نقصة عملوها وسهوة ارتكبوها أَو

شُبْهَة فِي الدّين انتحلوها والداء الْأَعْظَم الشُّبْهَة هِيَ الَّتِي يظنّ صَاحبهَا الْحق بَاطِلا وَالْبَاطِل حَقًا فَهُوَ كمخطئ الطَّرِيق إِذا ركض ازْدَادَ من الطَّرِيق بعدا.

كتاب بغداد ص47 : 49

وهذه المناظرة التي سمعها ابن أبي طاهر من عبد العزيز الكناني فيها فوائد كثيرة سأقتصر منها على ما فيه دلالة على موضوع البحث:

1- عبد العزيز الكناني كان من أهل الكلام وهو مشهور به قال ابن أبي طاهر (أخبرنا عبد العزيز المكي الكناني المتكلم) وقال ابن النديم (وكان متكلما مقدما) وهذا مما يفسر لك خلو كتب الحديث المتقدمة من الترجمة له فهو فقيه متكلم قليل الحديث

2- قول الكناني (اجتمعت أنا وبشر المريسي عند المأمون) فيه اثبات اللقاء والحوار بين عبد العزيز الكناني وبشر المريسي بحضرة الخليفة المأمون وكان ذلك في الحوارات الكلامية التي كان المأمون يحرص على الاستماع إليها والمشاركة فيها في مجلسه بين المتكلمة في قصر الخلافة ببغداد قبل اعلان المحنة

3- قوله (فقال لي ولبشر قد اجتمعتما على نفي التشبيه ورد الأحاديث الكاذبة) هذا الكلام ظاهر الدلالة أن عبد العزيز الكناني كان من المتكلمة الموافقين للمعتزلة وهو موافق لبشر المريسي في عقيدته في نفي التشبيه ومن أهم مظاهر نفي التشبيه عند المريسي وجماعته نفي الصفات والقول بخلق القرآن ونفي رؤية الله سبحانه في الآخرة لذلك قال له المأمون (اجتمعتما على نفي

التشبيه ورد الأحاديث الكاذبة) ومن أشهر الأحاديث التي قالت المعتزلة بردها هي أحاديث الرؤية وأحاديث القدر واثبات الصفات

فهذه الرواية فيها نقل واقرار عبد العزيز الكناني لكلام المأمون بموافقته لبشر المريسي في نفي التشبيه ورد ما يوهمه عند المعتزلة خلافاً للرواية المشهورة بأن الكناني يخالف المريسي ويناظره في خلق القرآن واثبات الصفات !

4- عبد العزيز الكناني كان من المعتزلة في نفي التشبيه وإن كان يخالف المريسي في بعض مذاهب المرجئة وقد وصفه ابن أبي طاهر وغيره بالمتكلم وهي صفة كانت لمتكلمة المعتزلة قبل أن يظهر الأشعري وابن كلاب وغيرهما من المتكلمة الذين حاولوا المقاربة بين المعتزلة وأهل الحديث أما أهل الحديث فلم يكن يعرفون الكلام في ذلك الوقت ولا يوصف الواحد منهم بالمتكلم وإنما كان هذا وقتها مصطلحاً خاصاً بأهل الكلام من المعتزلة والجهمية وأصحاب الكلام من الشيعة والفلاسفة

5- نقل الذهبي وغيره عن عبد العزيز الكناني قال: دخلتُ عَلَى أَحْمَد بْن أَبِي دُؤاد وهو مفلوج فقلتُ: إنِّي لَم آتك عائدًا ولكن جئتُ لأحمد الله على أنه سجنك في جلدك.
وهذا لو صح فليس صريحاً في إثبات خلافاً في أصول الاعتقاد بينهما فربما كان لنزاع شخصي أو نقمة عليه بسبب بعض أفعاله لاسيما بعد الخصومة التي جرت بين الوزير ابن الزيات وابن أبي دؤاد في زمن المتوكل وكان ابن الزيات من رؤرس المعتزلة وله أنصار يتعصبون له
قال الذهبي في ترجمة محمد بن عبد الملك ابن الزيات: وكان بين ابن الزيات وبين ابن أَبِي دُؤاد عداوة فلمّا استخلف المتوكّل أغراهُ ابن أَبِي دُؤاد بابن الزيّات فصادره وعذَّبه وسجنهُ وكان من القائلين بخلْق القرآن.

وقال في ترجمة أحمد ابن أبي دؤاد: وقال الصولي: حدثنا المغيرة بْن محمد المهلَّبيّ قال: مات أبو الوليد محمد بن أحمد بن أبي دؤاد هو وأبوهُ منكوبَيْن في ذي الحجة سنة تسعٍ وثلاثين ومات أبوه يوم السّبت لسبْعٍ بقين من المحرَّم سنة أربعين.
يعني ذاق ابن أبي دؤاد من نفس الكأس فمرض بالفالج وانقلب عليه المتوكل ونكبه فلعل الكناني جاءه شامتاً جزاءً لما فعله مع ابن الزيات فالموقف ليس صريحاً بأنه لخلاف عقدي بينهما ويُحتمل أنه تغير مذهبه بعد تغير الدولة في زمن المتوكل وعلو مذهب أهل الحديث لذلك اختاره بعض الرواة لنسبة تلك المناظرة إليه لكن هذا الافتراض يحتاج إلى دليل لاثباته وهو بعيد والله أعلم

6- لعل من مثل هذه المناظرات استلهم رواة الحيدة اختيار عبد العزيز الكناني خصماً لبشر المريسي في مناظرة خلق القرآن فكأنهم نسجوا المناظرة على أصل معروف آنذاك وهو مناظرات الكناني والمريسي بحضرة الخليفة المأمون فلعل هذا هو سبب اختيارهم لتلك الشخصيات في خلق مناظرة الحيدة والله أعلم

7- قول المأمون (فتكلموا في الكفر والايمان) توجيه للموضوع الذي يريد المناظرة عليه بعدما اتفقوا على نفي التشبيه فهم على نفس المعتقد في باب الأسماء والصفات وإنما اختلفوا في بعض مسائل الارجاء

8- المناظرة التي جرت بين الكناني والمريسي لا علاقة لها بخلق القرآن واثبات الصفات وإنما هي مناظرة في موضوع آخر وقد نقلها أحمد بن أبي طاهر بالسماع عن عبد العزيز الكناني

9- هذه المناظرة مما يستدل بها على نكارة المناظرة الأخرى التي يروونها في خلق القرآن بين الكناني والمريسي فعبد العزيز الكناني كان من المتكلمة المعروفين عند المأمون وهو ممن يحضر

مجلسه ويتناظر في الفقه والكلام بحضرته وكان المأمون يستمع إلى موعظته ونصيحته وليس هو من أهل الحديث الذين يقولون بنفي القول بخلق القرآن

10- لم يرد عن عبد العزيز الكناني ما يفيد انتصاره لمذهب أهل الحديث في القرآن إلا في تلك المناظرة المنسوبة إليه باسم الحيدة وسبق بيان بطلان نسبة الكتاب إليه سنداً ومتناً وكذا رواية ابن بطة فلا يصح عنه في الباب شيء وأصح ما ورد عنه المناظرة التي رواها أحمد بن أبي طاهر وفيها موافقة بشر المريسي على عقيدته في نفي التشبيه

11- ذكر بعض المناظرين المشتغلين بالمناظرات العقدية على مواقع التواصل أن لعبد العزيز كتاباً آخر باسم الرد على الجهمية واعتمد على كلام لابن تيمية ذكر فيه الكتاب وأنه كان يقتبس منه

قال ابن تيمية: وَمِنْ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يَحْيَى الْكِنَانِيُّ الْمَكِّيُّ لَهُ كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ.

مجموع الفتاوى 336/6

وقال في بيان تلبيس الجهمية: كما قال عبد العزيز بن يحيى الكناني المشهور صاحب الشافعي صاحب الحيدة في كتاب الرد على الزنادقة والجهمية: باب قول الجهمي في قوله تعالى {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} زعمت الجهمية أن قول الله تعالى {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} إنما المعنى استولى كقول العرب استوى فلان على مصر استوى فلان على الشام يريد استولى عليها .. الخ

انظر بيان تلبيس الجهمية 30/1 و 301/4 ومجموع الفتاوى 314/5 ودرء تعارض العقل والنقل 115/6 ونفس هذا الموضع

نقله ابن القيم في اجتماع الجيوش الاسلامية 219/2 والذهبي في العرش 297/2 وهو مقتبس من كتب شيخهم الامام ابن تيمية رحمه الله

والنص طويل ومكتوب بأسلوب الحوار والمناظرة: فقال الجهمي كذا .. فيقال له كذا .. وأما قولك كذا فجوابه كذا ..

على غرار أسلوب كتاب الحيدة والظاهر أنه هو الكتاب المقصود من بعض نسخه فنسخ كتاب الحيدة يزيد بعضها على بعض انظر إلى قول ابن تيمية في الدرء 2/ 263 عن كتاب الحيدة: وقوله في النسخة الأخرى إن صح عنه (إنما قلت لم يزل الفاعل سيفعل والخالق سيخلق) قد نفى فيه أن يكون نفس الفعل قديماً فضلاً عن أن يكون المفعول قديماً .. وقوله (لم يزل سيفعل) إن صح عنه يحتمل معنيين .. الخ

فالظاهر أن هذا النقل من بعض نسخ كتاب الحيدة وتسمية ابن تيمية له بالرد على الجهمية من حيث المعنى أو ربما هو خطأ من بعض النساخ في تسمية الكتاب وليس لعبد العزيز الكناني كتاباً آخر باسم الرد على الجهمية ولا يُعرف لهذا الكتاب أي وجود أو أثر يدل عليه وكل من وقفت على كلامه في ترجمة عبد العزيز الكناني لا يذكرون له كتاباً في الرد على الجهمية إلا كتاب الحيدة ولم أجد أحداً من أهل العلم نسب له هذا الكتاب قبل ابن تيمية

وقد اعترف الأخ المناظر بأنه لم يجد هذا الكتاب مطبوعاً ولا مخطوطاً فهو ليس كتاباً آخر ولا يصح عنه والله أعلم.

12- ذكر أحمد بن أبي طاهر هذه المناظرة في سيرة الخليفة المأمون قبل وفاته عام 218هـ وقبل اعلان المحنة وهذا أيضاً يخالف ادعاء صاحب كتاب الحيدة بأن المأمون لم يكن يعرفه حتى

جاء إليه بعد المحنة من أجل المناظرة في خلق القرآن فعبد العزيز الكناني كان معروفاً عند المأمون وممن يحضرون مجالسه وكان المأمون يستمع إلى رأيه وموعظته

13- كتاب تاريخ بغداد من الكتب المتقدمة المهمة للباحث وهو أقدم مؤلف وصل إلينا في تاريخ المدينة واستفاد منه عامة من جاء بعده كالطبري والخطيب وأبي الفرج الأصفهاني وابن الجوزي وياقوت الحموي وغيرهم

14- قال أ/ نضال البرازي أبو عبد الرحمن الأثري في مقدمته لكتاب الحيدة ص33: العلماء الذين ذكروا كتاب الحيدة أو المناظرة بين الامام عبد العزيز الكناني وبشر المريسي 1- أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور رحمه الله قال: أخبرنا عبد العزيز المكي الكناني المتكلم قال: اجتمعت أنا وبشر المريسي عند المأمون ... .
وهذه هفوة من الأخ الفاضل عفا الله عنه !
فرواية ابن أبي طاهر دليل على بطلان المناظرة المزعومة في خلق القرآن وإنما هي مناظرة أخرى ولو نقل الأخ السطر التالي مباشرة لاستبان ذلك قال (اجْتمعت أَنا وَبشر المريسي عِنْد الْمَأْمُون فَقَالَ لي ولبشر: قد اجتمعتما على نفي التشبيه ورد الْأَحَادِيث الكاذبة عَن رَسُول الله صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فتكلموا فِي الْكفْر وَالْإِيمَان) فهو يقر على نفسه بموافقة بشر المريسي على نفي التشبيه فعن أي مناظرة يتحدثون ؟!

15- عبد العزيز الكناني كان معروفاً عند المتقدمين المعاصرين لزمانه بالمتكلم والفقيه ومن أصحاب الشافعي ولم يذكر أحد منهم أنه كان على مذهب أهل الحديث في اثبات الصفات ولا ذكروا أنه ناظر بشر المريسي في خلق القرآن ولا نسبوا إليه كتاب الحيدة وقد ظهر اسم الكتاب في ترجمته عند علماء القرن الخامس الهجري بعدما اشتهر الكتاب منذ القرن الرابع وهذه قرائن على أن الكتاب لم يكن موجوداً في زمن المتقدمين حتى جاء من ذكرناهم

في القرن الرابع ووضعوه وقد ثبت بالأدلة من الاسناد والمتن ووقائع التاريخ أن هذه المناظرة لم تحصل ولا تصح نسبتها للمؤلف المذكور.

آراء بعض المعاصرين في نقد نسبة الكتاب

سبق نقل قول أ/شعيب الأرناؤط وأ/بشار عواد من كتاب تحرير التقريب في موافقة الذهبي في طعنه بصحة الكتاب

وهناك آخرون تكلموا في نسبة الكتاب لمؤلفه منهم:

- قال محمد ناصر الدين الألباني في تعليقه على شرح الطحاوية: في ثبوت نسبة الكتاب للمكي نظر.

وقال في موضع آخر: عبد العزيز المكي هو عبد العزيز بن يحيى الكتاني أحد الفقهاء من أصحاب الشافعي قدم بغداد أيام المأمون وجرى بينه وبين بشر المريسي مناظرة في خلق القرآن بحضرة الخليفة المأمون وصنف كتاب الحيدة أثبت فيه نص مناظرته لبشر لكن في ثبوت هذه المناظرة نظر فإنه تفرد بروايتها محمد بن الحسن بن أزهر الدعاء وقد اتهمه الخطيب بأنه يضع الحديث وذكر الذهبي أنه هو الذي وضعها فراجع الميزان 3/ 44 وطبقات السبكي 1/ 265.

شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ط. دار السلام حاشية ص141-172

- **وقال أبو اسحاق الحويني في شرحه للموقظة: كونُ كتابٍ مهم كهذا يحكي أحداث واقعة هامة كهذه قد توافرت الهمم الداعية إلى نقله و لم يُنقل دل هذا على عدم ثبوته. اهـ بمعناه**
(نقلاً من أرشيف ملتقى أهل الحديث تحت عنوان ماهو كتاب الحيدة)

وقال أيضاً: كتاب الحيدة لعبد العزيز بن يحيى الكناني تكلم فيه الذهبي فقال: إني لأحسبه موضوعا.
وقد أطلعت على نسخة نشرت في الجامعة الإسلامية وقد وجد المحقق وأظنه الدكتور علي بن ناصر الفقيهي سندا آخر لهذا الكتاب وهي مناظرة عجيبة جدا وقوية جدا وممتازة وقد حكم الذهبي بوضعها لأنه قد تفرد بنقلها راو متروك أو كذاب وهو مما يفترض أن تتوافر الدواعي على نشرها لأنه من أجرأ ما يمكن أن يقرأه المرء في مثل هذه الفتنة العمياء الصماء التي لم يثبت فيها إلا القلائل ولا سيما أن الكتاب يذكر أن الإمام الكناني قد أقام الحجة على المأمون وعلى ابن أبي داود واقتنع المأمون بها فلم لم يرجع عن القول بخلق القرآن الكريم وهو يقول كلما سمع حجة للإمام الكناني صدقت يا عبد العزيز
وكذلك كثير من الناس ممن عذب لأجل هذه الفتنة حفظت أسمائهم ومنهم لا يذكر بمصنفات أو برواية للعلم إلا لأنه جلد في هذه الفتنة مثل محمد بن نوح الشاب الذي أعتقل مع الإمام أحمد بن حنبل ومات وهو مصفد بالحديد فإذا نقل لنا أسمه وهو غير مشهور فمن باب أولى أن تنقل مناظرة الإمام الكناني الذي صرح بالحق في المسجد وجر إلى المأمون ومناظرته القوية لهم ألا يجب أن يطير بها الرواة وتنقل بالأسانيد المتواترة فكيف يتفرد بنقل مثل هذا الحدث راو كذاب ومن المعلوم لدى العلماء أنه إذا حدث أمر تتوافر الهمم والدواعي على نقله ثم يتفرد بنقله راو واحد متروك فهذا يعتبر من أعظم القوادح في صحة سنده وقد وجد المحقق الفاضل إسنادا آخر عند ابن بطة لهذه المناظرة لكنه لم يسق الكتاب كله

وإنما ساق بعضه فلا نستطيع أن نحكم على بقية الكتاب بإسناد روى بعضه وهذا يسمى عند المحدثين شهادة قاصرة.
(نقلاً من أرشيف ملتقى أهل الحديث تحت عنوان هل ثبت كتاب الحيدة والاعتذار للكناني)

- وقال عائض القرني: ومن القضايا أيضاً كتاب الحيدة لعبد العزيز الكناني لا يصح أن هذا الكتاب أصله مناظرة ولم ينقل ابن تيمية عنه فمقصود ابن تيمية أن هذا الكتاب ألفه عبد العزيز الكناني لكن المحاورة التي جرت بين عبد العزيز الكناني والمعتزلة أو المأمون ليست بثابتة عند أهل العلم ينكرها الذهبي وأمثاله فكتاب الحيدة هذا فيه نظر لأمور:
أولاً: أين سند الرواية؟
ثانياً: كيف أن الغالب دائماً هو عبد العزيز الكناني وذاك المبتدع هو المغلوب مع أن له حجج
ثالثاً: من الذي شهد القصة فكتبها فما خرم حرفاً؟
رابعاً: يقول الخليفة: إن كان الحق معك يا عبد العزيز رجعت إليه وإن كان مع خصمك عدت معه وما رجع الخليفة والحق كان مع عبد العزيز الكناني.

تفريغ دروس الشيخ عائض القرني الدرس 382 ص15

قلت: ابن تيمية مشهور عنه الاحتجاج بالكتاب والنقل منه !

وثمة نقاش حصل في ملتقى أهل الحديث سأنقل منه بعض الاقتباسات والتعليق عليها للفائدة وتعليقي يبدأ بـ (قلت) باللون الأحمر والنقاش منقول من أرشيف ملتقى أهل الحديث تحت عنوان هل ثبت كتاب الحيدة والاعتذار للكناني

- قال أبو حاتم الشريف من أعضاء الملتقى: في الحقيقة هذه المسألة سبق أن أُثيرت قبل عشر سنوات وقام أحد الإخوة الفضلاء بكتابة عدة صفحات في الطعن في القصة والمناظرة والرد

على الشيخ الفقيهي الذي غضب أشد الغضب من رد أخينا الفاضل فقام بالرد عليه في رد قوي وشديد وعنيف على صفحات الجرائد وذكره بأقذع الأوصاف والسر في شدة الشيخ علي الفقيهي أن تحقيق هذا الكتاب (الحيدة) كان بحث ترقية من أُستاذ مساعد إلى مشارك أو من مشارك إلى أُستاذ فلذلك كان رد الشيخ علي شديداً وكان رد الأخ الفاضل البلادي حديث المجالس في المدينة المنورة النبوية ثم بعد ذلك قمت بكتابة رد على الشيخ الفقيهي والأخ الفاضل من عدة صفحات وأرسلته للجريدة لكن الجريدة اعتذرت عن النشر لأنها أوقفت الرد وكان هناك رداً آخر لأحد الإخوة أيضاً على الشيخ الفقيهي لكن الجريدة اعتذرت عن النشر وعلى كل حال فكان ملخص ردي أن الكتاب في صحته نظر إلى المؤلف لكن المناظرة صحيحة ومشهورة وكنت أول من ذكر المناظرة التي في الإبانة لابن بطة (القسم المخطوط) وكان الشيخ الفقيهي لم يذكرهذه المناظرة في أول طبعة للكتاب فيما أظن (لأن العهد بعيد بهذه المسألة) وقد استفاد الشيخ الفقيهي من ردي على الأخ البلادي وكنت قد ذكرت هذه المناظرة التي عند ابن بطة الحنبلي (المخطوط) وغيرها من المسائل وكان ردي من ثلاثين صفحة تقريباً !

ثم كتب الأخ البلادي رداً مطولاً على الشيخ الفقيهي مرة أُخرى في ستين صفحة تقريباً وعمل مقارنة بين تحقيق الشيخ الفقيهي وتحقيق جميل صليبا وأمور أُخرى لاداعي لذكرها والرد موجود عندي لمن أحب الإطلاع عليه !

وأما ردي على الشيخ الفقيهي فقد استعاره أحد الإخوة من تسع سنوات تقريبا ولم يرجعه إلى الآن والله المستعان !!

قلت: حاولت الوقوف على هذه الردود والسجالات بين الأستاذ فهد البلادي ود. الفقيهي للاستفادة منها لكن دون جدوى ويبدو أن الأخ فهد كانت له عناية بنقد الكتاب وعسى إن وقفت على بحثه أن أنقل منه هنا وبالله التوفيق.

- وقال أبو محمد من أعضاء الملتقى: فائدة تثري البحث .. ولست أدري إن كان الإخوة قد ذكروها فيما سبق
شيخ الإسلام في درء التعارض أشار إلى أن الكتاب له نسختان ونقل عنهما وقال عن النسخة الأخرى (وقوله في النسخة الأخرى إن صح عنه ..) وكرر هذا الكلام بعد أسطر .. فيفهم من هذا أنه يرى ثبوت نسخة ويتشكك في أخرى ولعل ما أخذ على تلك الرسالة من النسخة الأخرى.
انظر من الدرء 2/ 263
ولشيخ الإسلام ثناء على المؤلف رحمه الله ومنه قوله (فإن عبد العزيز هذا له في الرد على الجهمية وغيرهم من الكلام ما لا يعرف فيه خروج عن مذهب السلف واهل الحديث)
الدرء 2/ 245 وانظر أيضا منه 6/ 115
وقد ذكرني الأخ الشريف وفقه الله تلك الأيام الخوالي في المشكلة التي وقعت بين الفقيهي والبلادي وأدت إلى آثار سيئة على الأخ البلادي وانعزاله عن الناس وبعده عن طلاب العلم .. نسأل الله له الإعانة والتوفيق .. وقد نصحته قبل نشر البحث في الصحف عن الكف عن ذلك إذ لا فائدة ترجى من وراء ذلك فالمهم الكتاب وما فيه بغض النظر عن مؤلفه وقد يستغل هذا بعض المبتدعة في التشكيك في مصادر أهل السنة لا سيما وأن الأخ أجحف بحق الكناني كثيرا وأذكر أنه قال إنه شخصية مغمورة ولولا كتاب الحيدة لما عرف أو اشتهر أو كلمة نحوها .. لكنه أبى إلا نشر البحث .. ثم وقعت الواقعة كما ذكر أخونا أبو حاتم واستشاط الفقيهي على فضله ومكانته في الأوساط العلمية وكتب ردا قد تعدى فيه وأسرف عفا الله عنه .. ولو خرج رد البلادي لكان قويا عليه بالمرة .. لكنه أمر من بعض من لا يسعه مخالفة أمره بالكف عن ذلك .. نسأل الله المغفرة والعفو عن الجميع ..
ولا أزال أقول: إن مثل هذا الكتاب النافع اللهم سوى أحرف يسيرة فيه قد تلقاه الأئمة الأعلام كشيخ الإسلام وغيره وأشادو به لا أرى مناسبة للاشتغال في البحث في ثبوته أو عدم ثبوته والله أعلم.

قلت: بعض النسخ الخطية تنتهي عند الجزء الأول من المناظرة من غير ذكر لرجوع عبد العزيز الكناني واستكمال النقاش وهي النسخة التي اعتمد عليها د. الفقيهي في تحقيقه ويبدو للباحث المهتم بدراسة الكتاب أن أسلوب الجزء الثاني يختلف عن الجزء الأول من حيث الاستطراد في ذكر الآيات والأحاديث والآثار على خلاف الجزء الأول الذي فيه جواب الحجة بالحجة من غير عناية بجمع الأحاديث والآثار فهل الجزء الثاني تمت اضافته لاحقاً من كاتب آخر ؟

والكتاب اشتمل على الجزأين في عدة نسخ خطية ومنها نسخة مكتبة (ييل) بأمريكا ومكتوب في آخر المخطوط تاريخ رمضان سنة 509

وهذه المسألة تحتاج لمزيد بحث والله أعلم بالصواب

أما ماذكره أبو محمد من اعتزال الأخ فهد البلادي وانعزاله عن الناس وبعده عن طلاب العلم فهذا للأسف من مساوئ الفجور في الخصومة كما نقل الأخ أبو حاتم في حق د. الفقيهي (فقام بالرد عليه في رد قوي وشديد وعنيف على صفحات الجرائد وذكره بأقذع الأوصاف) وهكذا بعض من يحمل الدكتوراة تأخذه الغيرة والأَنَفَة إذا انتقده بعض طلبة العلم فينهال على منتقده بالسب والشتم وبعضهم لا يتورع من الكذب عليه وتشويه صورته عند الناس واختلاق التهم في حقه ليرفع النقص عن نفسه وظناً منه أن هذا الراد دونه في المكانة ولا يجوز له أن يتجرأ بنقد الدكتور !

ولقد حصل خلاف بيني وبين بعض من يحملون شهادة دكتوراة في الحديث وكانوا في خصومتهم لا يتورعون عن الكذب والافتراء من أجل الانتصار للنفس ولا أدري كيف أخذوا شهادات في العلوم

الشرعية وهم بهذه الأخلاق وكيف يعلمون الشباب مثل هذه الخصومات التي لا يسعى إليها إلا أراذل الخلق !

ومع كامل الاحترام لشخص الدكتور الفقيهي فإن المرء إذا استحل من أخيه السب والوقيعة من أجل الاختلاف في مسائل العلم فهو يعرض نفسه للحرمان من نور العلم وحقيقته الذي هو أغلى من الذهب ومن الشهرة ومن الوظائف والشهادات

وسبق مناقشة بحث د. الفقيهي وإنما اشتهر لقلة من يعتني بنقد هذه الكتب حرصاً على الاحتجاج بها انتصاراً لمذهب السلف وإلا فالكتاب موضوع على عبد العزيز الكناني وبحث د. الفقيهي بحث ركيك لا ينم عن علم أو فهم للطريق الأكاديمي العلمي في نقد الكتب والمرويات !

أما ما نقله الأخ أبو محمد من قول الأخ فهد البلادي أن عبد العزيز الكناني (شخصية مغمورة ولولا كتاب الحيدة لما عرف أو اشتهر) فيبدو أن الأخ فهد لم يقف على كتاب ابن سهل الرازي ولا ابن طيفور والذي تدل أخبارهم أنه كان شخصية مرموقة عند الخلفاء العباسيين وكان معروفاً بالفقه والكلام ولم يكن معروفاً بالحديث والانتصار لمذهب المحدثين في القرآن والصفات

وقول الأخ أبي محمد أنه (لا يرى مناسبة للاشتغال بالبحث في ثبوته أو عدم ثبوته لأنه تلقاه الأئمة بالقبول) فهذا كلام خارج عن موضوع البحث وليس هو بالكلام الذي يُعتنى به في نقاش علمي جاد لأن تحرير النسبة وتحرير اسم المؤلف وزمن تأليفه من أهم وظائف نقاد الرواية وعليه مدار عملهم لاسيما والكتاب يَدَّعي بطولات متوهمة ووقائع تاريخية مزيفة وتلميع لشخصيات هي في الحقيقة على النقيض مما نُسب إليهم وهذا من أهم مهمات نقاد الحديث !

ولا يصح أن نبرر التسامح في نسبته بأن المتن فيه فوائد ..

ولا مانع من الاحتجاج بفوائده مع تحرير الصحة فهذا أولى من أن تفتح الباب لكل مشكك ومخالف يسخر منك ويقول: انظروا لهؤلاء الذين يدعون التحقيق وعمدة مذهبهم على كتاب مكذوب وموضوع على صاحبه !

- وقال خزانة الأدب من أعضاء الملتقى: المشكل في الكتاب أيها الإخوة تاريخي في المقام الأول فالمصنف كائنا من يكون يقول إن المناظرة وقعت في بغداد بحضور المأمون وهذه دعوى لا يمكن أن يخطئ فيها المصنف الذي غرضه تسجيل الواقع ولكن المأمون أظهر بدعة الاعتزال وهو في غزو الروم بعيد عن العراق ولم يرجع إلى العراق لأنه مات في طرسوس والذي حبس الإمام أحمد وقتل أحمد بن نصر هو نائبه ابن مصعب فكيف يقول الكناني إنه ناظر المريسي في بغداد بحضور المأمون؟؟!!
ولعلكم تلاحظون أن الشيخ الفقيهي أعرض عن بحث هذه الأمر!!

قلت: الدكتور الفقيهي لم يعرض عن بحث هذا التناقض التاريخي فحسب وإنما أعرض أن أشياء كثيرة في نقد الكتاب كما سبق بيانه وقد أتى بالنقولات التي تخدم النتيجة التي يسعى إليها بفرض القول بصحة الكتاب على ما فيه من تناقضات تجزم بنفي حدوثه في الزمن المذكور فيه أو مع الأشخاص المنسوبة إليهم تلك المناظرة !

- وقال د. محمد حاج عيسى: قرأت مشاهد تلك المناظرة وتتبعت ألفاظ الحوار بين الأشخاص الذين تقاسموا الأدوار فيه فوجدت آثار الصنعة والتلفيق بادية فيه وأهم شيء سجلته بعيدا عن المحتوى العلمي كان متعلقا بالحدث التاريخي وأشخاصه زمانا ومكانا فزمن المناظرة هو زمن فتنة القول بخلق القرآن وامتحان العلماء من طرف المأمون كما صرح فيه مؤلف الكتاب وقد أقحم

فيه فقرة غير منسجمة مع سياق القصة ليبين من خلالها أن أحمد بن حنبل كان في السجن في تلك الأيام وبالرجوع إلى بعض المصادر التاريخية تبين أنه يفترض أن تكون أحداث القصة جرت ما بين شهر ربيع الأول من سنة 218 وشهر رجب من السنة ذاتها والمكان حسب زعم الكاتب هو بغداد حيث جهر بنفي القول بخلق القرآن بحضرة كاتب المأمون عمرو بن مسعدة الذي اعتقله بسبب قوله ثم جرت المناظرة في قصر المأمون حسب ادعائه وكان الخصم هو بشر بن غياث المريسي ويسانده شخص سماه محمد بن الجهم بن صفوان وكان الحكم بينهما المأمون ذاته

ولا تتفاجأ أيها القارئ إن قيل لك إن عمرو بن مسعدة كاتب المأمون كان قد توفي قبل ذلك خلال سنة 217هـ وقيل سنة 215هـ

ومما ينبغي أن يعلم أن المناظرات كانت تقام بين يدي المأمون فعلا لكن قبل قرار فرض تلك العقائد على الناس أما في أيام المحنة فالقائد هو نائبه العسكري الخزاعي وليس بشر المريسي الذي كان يومها قد هرم وبلغ سن الثمانين ولم تنقض تلك السنة حتى كان قد هلك

وأما الضربة القاضية التي تسقط هذه القصة رأسا فهي أن المأمون كان غائبا عن بغداد مدة المحنة كلها حيث كانت بدايتها برسالة للمأمون مؤرخة بشهر ربيع الأول 218هـ أرسلها من الرقة إلى نائبه في بغداد إسحاق بن إبراهيم الخزاعي يأمره بامتحان الناس كذا وثقه الطبري في تاريخه وكانت الرسالة الأخيرة واردة من طرسوس طلب فيها إحضار بعض العلماء إليه وقد أرسلهم إسحاق بن إبراهيم لكن لما بلغوا الرقة جاءهم نبأ وفاة المأمون بطرسوس وكان ذلك في رجب 218 هجرية

وهذا الخلل التاريخي الواقع في القصة دال على ضعف واضع الكتاب من الناحية التاريخية كما أن ذلك الخطأ الشنيع المتعلق بصفتي السمع والبصر يدل على جهله بعقيدة أهل السنة وباقي ما جاء فيها مما لا ينتقد يدل على أنه كانت لديه مصادر عقدية

استطاع أن يصوغ من مادتها حوارا سيناريو ممتعا انتصر فيه لمذهب أهل السنة والجماعة على المعتزلة لكن القاعدة عندنا أن الغاية النبيلة لا تطلب إلا بالوسيلة الشريفة وكما لا تنصر العقيدة بالأحاديث الموضوعة فلا تنصر بالقصص الملفق والفرق بين الحديث وهذه القصة أن الحديث الموضوع يرد سندا ومتنا لأنه منقول عن معصوم وأما الحجج التي تضمنتها القصة فتبقى قائمة بذاتها ولا تحتاج إلى إسناد لأن العبرة بها في ذاتها لا بقائلها أو ناقلها ولعل من البحوث الجديرة بالإنجاز لمن هو مقتنع قناعة تامة بعدم ثبوت كتاب الحيدة لعبد العزيز بن يحيى الكناني رحمه الله أن يجتهد في اكتشاف المصادر التي اعتمد عليها واضع الكتاب محمد بن الحسن بن أزهر المتوفي سنة 320هـ فإنها ولا شك مصادر قديمة ومهمة جدا.

من مقاله بعنوان (تفنيد نسبة كتاب الحيدة لعبد العزيز بن يحيى الكناني) من موقع طريق الاصلاح بتاريخ ٢ ربيع أول ١٤٤٥هـ

- وقال أبو صهيب اليمني في منتديات الآجري:

اختلف العلماء في ثبوته عنه والشيخ علي بن ناصر الفقيهي حفظه الله دافع عن هذه النسبة والإشكال الذي أوردوه على هذا الكتاب يرجع لأمور:

1- طول المناظرة وقوة حجج الكناني مما يبعد جدا معه عناد الخليفة

2- استخدام الكناني مصطلحات ومناقشة قضايا لم تحدث إلا بعد ذلك العصر

3- أنَّ مناظرة مثل هذه أُفحم فيها الخصم وسُدد إلى عقيدته كل سهم ونبل كيف لا تشتهر؟! ولا يذكرها المعاصرون له؟! ولا يشيدون به ويذكرونها في فضائله؟!

- وقال أمين ذياب في مدونته ضمن مقال طويل عن المعتزلة:
يدرك القارئ للمناظرة حين التمعن والتدبر فيها أنـها ليست مناظرة بل هي مجرد مناظر منفرد يشكل الحوار والجدل والنقاش حسب مراده فالكتاب لم يكن توثيقا للمناظرة بل هو خطاب له غاية هي السيطرة والتأثير على عقل العامة ببناء منظومة من المغالطات والحيدات وقد تبين في العصر الحديث مقدار تأثيره على أمثال من يدَّعي أنه الأعلم في هذا الزمان وأنه يضع العلماء بما في ذلك علماء أهل السنة في جيبه الصغرى وأشار إلى جيب بنطالة مع أن السلفية المعاصرة تتفاخر بالكناني إلاَّ إنـهم لا تلفت نظرهم الحقائق التالية:
الحقيقة الأولى: الإجماع على أن الكناني متكلم أي من أهل علم الكلام والمعلوم أنـهم يرون أن علم الكلام بدعة وضلالة
الحقيقة الثانية: لم يرد بكتب الرجال أي كتب علم الجرح والتعديل ذكرٌ للكناني كراو من رواة الحديث وهو غير معدود في جملة فقهاء أهل السنة والجماعة وهو بالتالي ليس من السلف الصالح
الحقيقة الثالثة: ورد عن أهل السنة والجماعة مقالات شنيعة في ذم علم الكلام وأهل علم الكلام ونسبوا لأبي حنيفة وتلاميذه وللشافعي أقوالا في ذلك فنقلوا عن الشافعي أن حكمه في أهل علم الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم في القبائل وكلاما آخر أشدُّ تعنيفا وستكشف هذه الدراسة أن هذا الكلام وما هو مثله كلام زور لا أصل له
أما الاحتمال الثاني فهو تأكيد حصول مناظرة في موضوع خلق القرآن وأنـها حدثت قبل المحنة أي أن المحنة لم تبدأ أواخر عام 218هـ وإنـما بدأت قبل ذلك بزمن يقارب العقد من الزمان وأن رجل المحنة الثابت الصابر المحتسب ناصر السنة وقامع البدعة ومقيم الحجة بحيث قَدرَ على حسمها لصالح القائلين بأن القرآن غير مخلوق ذلك هو الإمام الشهم الـهُمام عبد العزيز بن يحيى الكناني والفضل في الثبات يعود إليه وليس إلى أحمد بن حنبل وشهرة أحمد في المحنة هي شهرة مزورة حصل عليها بسبب تجاهل المحدثين المعاصرين لموقف الكناني في المحنة عن سبق

عمدٍ .. الخ

قلت: أهل الحديث كانوا يحذرون من الكلام وأهله وهذا مشهور عنهم وقول الأخ (وشهرة أحمد في المحنة هي شهرة مزورة) هذا من باب السخرية من البطولة الوهمية التي صنعها صاحب كتاب الحيدة لعبد العزيز الكناني فأين هو من أحمد بن حنبل إمام أهل الحديث في المحنة والذي لم يفعل شيئاً مما نسجه صاحب الكتاب في حق الكناني المتكلم !

هذا جملة ما وقفت عليه في الباب وبالله التوفيق ..

الخلاصة:

كتاب الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن المنسوب لعبد العزيز بن يحيى المكي الكناني لا تصح نسبته إليه وهو مزور عليه وراويه محمد بن الحسن بن أزهر متهم بالكذب ووضع الأحاديث وقد ظهر كذبه وتأليفه للكتاب بقرائن كثيرة في متنه وما فيه من حكايات ومبالغات وذكره لحوادث ثبت بالتاريخ أنها حوادث مزيفة لا أصل لها
وقد رواها باختصار ابن بطة في الابانة عن طريق العطاف بن مسلم وهو راو مجهول زعم روايتها عن جماعة من أصحاب عبد العزيز ولا يُعرف هو ولا من روى عنهم وزعم صحبتهم لعبد العزيز الكناني
وهذه المناظرة لو كان لها أصل صحيح لاشتهرت عند أهل الحديث المعاصرين للحدث من البغاددة وغيرهم لاسيما الامام أحمد بن

حنبل ومحنته ومناظرته للمعتزلة مشهورة ومعروفة وكان أصحابه يسألونه عن كل من عُرِف عنه الكلام في القرآن أو المناظرة فيه ولا تجد في كلامهم أي ذكر لعبد العزيز الكناني فضلاً عن ذكر مناظرته في القرآن !

وقد أورد أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور في كتاب بغداد ما يفيد بطلان هذه المناظرة من الأساس وأن عبد العزيز الكناني كان من المتكلمة الموافقين لمعتقد بشر المريسي في الأسماء والصفات ونفي التشبيه

وهذه من المفارقات .. فبينما يعتبر المتأخرون عبد العزيز الكناني بطلاً وناصراً للسنة ولمذهب أهل الحديث اعتماداً على تلك المناظرة تجده عند المتقدمين معروفاً بأنه متكلم يوافق المعتزلة القائلين بخلق القرآن ونفي الصفات بحجة نفي التشبيه وقد نسبه الزيدية إليهم كواحد من دعاتهم
وفي المقابل خلت كتب المحدثين المتقدمين من ذكره في عداد أهل الحديث الناصرين لمذهبهم ولا يعرفون عنه تلك المناظرة !

هذا ما ظهر لي مما يتعلق بعبد العزيز الكناني وكتاب الحيدة ومناظرته لبشر المريسي وكامل العلم عند الله وبالله التوفيق.

كتبه

أحمد فوزي وجيه

2025/12/2م